

جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الصراط

وما ورد فيه في ضوء نصوص الكتاب والسنة

الدكتور

ذياب بن مدحل العلوي

أستاذ مشارك بقسم العقيدة
بالجامعة المباركة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المباركة المدينة النبوية



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله، وصحبه، وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن من أعظم روافد الإيمان، وما يزيده فيوصله إلى الكمال: معرفة تفاصيل يوم القيامة، وما فيها من شدائد وأهوال، لا ينجو منها المرء؛ إلا بحميد الخصال، وجميل الفعال.

لذا فصل الله (ﷻ) أمر هذا اليوم، ففصل ما فيه من دنو شمس، ونزول رب ــ، ووجود حوض، وتطاير صحف، وميزان عمل، ومرور صراط... ثم فصل أحوال الناس في كل موطن، وتباينهم في كل موقف، ثم أمر (ﷻ) أن نتقي هذا اليوم، فأمر أهل الكتاب ممن سبقنا أن يتقوه في قوله: ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ** ﴾ [البقرة: ٤٨].

وأمر أهل الإيمان من هذه الأمة أن يتقوه، في قوله:﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وأمر الناس كلهم أن يخشوه، في قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا** ﴾ [لقمان: ٣٣].

وأخبر أن الكافرين بكفرهم لا يتقون هذا اليوم في قوله: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ﴾ [المزمل: ١٧].

فحق للمؤمنين أن يكون من صفاتهم أنهم يخافون هذا اليوم، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [النور: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾[الإنسان: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان: ١٠].

وإن مما يحصل في ذلك اليوم من شدائد وأهوال: مرور الناس على الصراط، فهو موقف عظيم، وحدث جليل، وأمر رهيب؛ فآثرت أن أكتب فيه جهدي، متتبعا آيات الكتاب، وأحاديث النبي المختار (ﷺ)، تحت عنوان:

الصراط، وما ورد فيه؛ في ضوء نصوص الكتاب، والسنة

فجاء البحث بعد الكتابة والتمحيص، والإعادة والتدقيق؛ في ثمانية مباحث؛ تفصيلها ما يأتي:

المبحث الأول: تعريف الصراط: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الصراط في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الصراط اصطلاحا.

المبحث الثاني: أدلة إثبات الصراط.

المبحث الثالث: الوقت الذي ينصب فيه الصراط.

المبحث الرابع: أين ينصب الصراط على جهنم.

المبحث الخامس: وقت المرور على الصراط.

المبحث السادس: صفة الصراط.

المبحث السابع: حال الناس قبل الصراط، ومجمل ما يحدث على الصراط.

المبحث الثامن: الأعمال الموجبة لجواز الصـــراط.

ثم تأتي الخاتمة تكشف أهم ماجاء في البحث، سائلا المولى العلي، أن يـــوفقني للقول العلي، والعمل الرضي، مصليا ومسلما على النبي، وعلى من صحبه على النقي، واتبعه على السنن المهدي.

ذياب بن مدحل العلوي
أستاذ مشارك بقسم العقيدة
بالجامعة المباركة الجامعة الإسلامية
بالمدينة المباركة المدينة النبوية

المبحث الأول

تعريف الصراط

المطلب الأول

تعريف الصراط في اللغة

الصراط في اللغة: من صرط، يصرط، صرطا، وصراطا، وهو من باب الإبدال، يقال بالصاد، والسين، والزاي: الصراط، والسراط، والزراط، والكل بمعنى: الطريق.

يقول الجوهري: (الصراط، والسراط، والزراط: الطريق)[1].

ويقول ابن فارس: (الصراط: الصاد، والراء، والطاء وهو من باب: الإبدال، وقد ذكر في السين، وهو: الطريق)[2].

ويقول الفيروز آبادي: (الصراط – بالكسر –: الطريق... والسين لغة)[3].

والصراط بالصاد لغة قريش الأولين؛ التي جاء بها الكتاب، وعامة العرب تجعلها سينا[4].

---

(١) الصحاح ص (٥٨٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٥٦٩).

(٣) القاموس المحيط ص (٦٧٥).

(٤) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة (١٦٧٣/٢)؛ من قول الفراء.

وبكل قرئ: الصراط في قوله (ﷻ): ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:]، وأنكر بعضهم قراءتها بالزاي المخلصة[١].

وجاء القرآن موافقا ومقررا لما تعرفه العرب من أنه: الطريق، يقول ابن جرير الطبري: (أجمعت الأمة من أهل التأويل على: أن الصراط المستقيم هو: الطريق الواضح؛ الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك ذلك في لغة جميع العرب)[٢].

ويقول الشنقيطي: (الصراط في لغة العرب: الطريق الواضح والمستقيم؛ الذي لا اعوجاج فيه)[٣].

---

(١) يقول ابن سيده في المحكم (٤٣٣/٨): "السراط: السبيل الواضح، والصاد أعلى لمكان المضارعة، وإن كانت السين هي الأصل، وحكاه سيبويه الصراط على المضارعة أيضا، فأما ما حكاه الأصمعي من قراءة بعضهم: اهدنا الزراط بالزاي المخلصة فخطأ، إنما سمع المضارعة، فتوهمها زايا، ولم يكن الأصمعي نحويا؛ فيؤمن على هذا" ا.هـ، وانظر: المخصص له أيضا (٣٠٦/٣)، وبحوث ومقالات في اللغة ص (٢٣٥).

وذكر القرطبي قراءة رابعة؛ هي ما بين الصاد والزاي، يقول في تفسيره (١١١/١): "وقرئ: السراط"بالسين"؛ من: الاستراط، بمعنى: الابتلاع، كأن الطريق يسترط من يسلكه، وقرئ بين الزاي والصاد، وقرئ بزاء خالصة، والسين الأصل".

ويقول محيي الدين درويش (١٤/١): "وفي الصراط أربع لغات: السراط بالسين، من: سرط الشيء؛ إذا بلعه، وسمي الطريق سراطا لجريان الناس فيه، كما يجري الشيء المبتلع، والصراط، وبالزاي خالصة، وبإشمام الصاد الزاي، وكل هذه اللغات قد قرىء به، ويذكر ويؤنث، وتذكيره أكثر".

(٢) تفسير الطبري (١٠٣/١ – ١٠٤).

(٣) أضواء البيان (١٣٢/٧).

وأصل الصراط من: صرط الطعام، يصرطه، ويسرطه، ويزرطه، إذا ابتلعه، ثم سمي به الطريق تصورا أنه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه.

يقول الراغب: (السراط: الطريق المستهل، أصله من: سرطت الطعام، وزردته: ابتلعته، فقيل: سراط؛ تصورا أنه يبتلعه سالكُه، أو يبتلع سالكَه)[1].

ويقول ابن فارس: (سرط: السين والراء والطاء أصل صحيح واحد، يدل على غيبة في مر وذهاب، من ذلك: سرطت الطعام، إذا بلعته؛ لأنه إذا سرط غاب، وبعض أهل العلم يقول: السراط مشتق من ذلك، لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط)[2].

وإن كان الصراط بمعنى الطريق فليس كل طريق يسمى صراطا، هذا ما يوضحه ابن القيم بقوله: (اشتقاق الصراط: فالمشهور أنه من: صرطت الشيء، أصرطه: إذا بلعته بلعا سهلا، فسمي الطريق: صراطا؛ لأنه يسترط المارة فيه.

والصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقا مستقيما، سهلا، مسلوكا، واسعا، موصلا إلى المقصود، فلا تسمي العرب الطريق المعوج صراطا، ولا الصعب المشتق، ولا المسدود غير الموصل.

ومن تأمل موارد الصراط في لسانهم واستعمالهم تبين له ذلك، قال جرير:

أمير المؤمنين على صراط   إذا أعوج الموارد مستقيم[3]

---

(١) المفردات في غريب القرآن ص (٢٣٤).

(٢) معجم مقاييس اللغة ص (٤٩١).

(٣) انظره في ديوان جرير ص (٤١١)؛ من قصيدة يمدح بها الخليفة عمر بن عبد العزيز.

وبنوا الصراط على زنة: فعال؛ لأنه مشتمل على سالكه اشتمال الحلق على الشيء المسروط، وهذا الوزن كثير في المشتملات على الأشياء، كاللحاف، والخمار، والرداء، والغطاء، والفراش، والكتاب؛ إلى سائر الباب)(١).

المطلب الثاني

تعريف الصراط اصطلاحا

اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف الصراط اصطلاحا، ومنها:

ما يرويه البخاري في الصحيح بقوله: (باب الصراط جسر جهنم)، وعلق عليه الحافظ ابن حجر بقوله: (أي: الجسر المنصوب على جهنم؛ لعبور المسلمين عليه إلى الجنة)(٢).

ويقول القرطبي: (الصراط في اللغة هو الطريق، وفيه لغات الصاد والسين والزاي، وهو ههنا الطريق من أرض المحشر إلى الجنة، وهو منصوب على متن جهنم، أدق من الشعر، وأحد من السيف، وهو المسمى بالجسر في الحديث الآخر)(٣).

ويقول النووي في تعريفه: (جسر على متن جهنم، يمر عليه الناس كلهم)(٤).

---

(١) بدائع الفوائد (١٦/٢ – ١٧)، وانظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص (٣٣٤)، فقد ذكر فيه: الفرق بين الصراط، والطريق، والسبيل؛ لمن أحب أن يرجع له.

(٢) فتح الباري (٤٥٤/١١).

(٣) المفهم (٤١٩/١).

(٤) شرح النووي لصحيح مسلم (٢٢/٣).

ويقول السفاريني في تعريفه: (أنه جسر مضروب على متن جهنم، يمر عليه جميع الخلائق)[1].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (الصراط منصوب على متن جهنم، وهو: الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم...)[2].

ويقول ابن أبي العز: (الصراط: وهو: جسر على جهنم)[3].

ويقول الشنقيطي: (إن الله يأمر العباد يوم القيامة بالجواز على الصراط، وهو: جسر على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر، ويمر المؤمنون عليه بحسب أعمالهم، كالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، ومنهم الساعي، ومنهم الماشي، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المكدوس على وجهه في النار)[4].

والذي يظهر – والله أعلم – أن يقال في تعريف الصراط اصطلاحا هو: جسر منصوب على متن جهنم، يرده الأولون، والآخرون، يمر عليه من شاء الله (ﷻ) من خلقه إلى الجنة.

وذلك أن الصراط يضرب على ظهراني جهنم حين ورود الأولين والآخرين إلى جهنم، ولا يمر عليه الكافرون على الصحيح، وفي المنافقين خلاف، وبعض عصاة المؤمنين لا يكملون المرور عليه، بل يسقطون في النار، على ما سيأتي بيانه.

---

(١) لوامع الأنوار (٢/١٩٣).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣/١٤٦ – ١٤٧).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص (٦٠٥).

(٤) أضواء البيان (٣/٣٥٤).

المبحث الثاني
أدلة إثبات الصراط

كثرت أدلة إثبات الصراط في النصوص الشرعية، وهذا البحث كله في الصراط، وأدلته؛ لذا سأقتصر على بعض الأدلة، والتي منها:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢].

اختلف أهل العلم في المراد بورود النار في هذه الآية الكريمة على أقوال[١]:

القول الأول: أن المراد بالورود الدخول، ولكن الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول:

وهو قول ابن عباس (رضي الله عنهما) في أصح قوليه[٢]، وعبد الله بن رواحة (رضي الله عنه)، وخالد بن معدان، وابن جريج، وأبي ميسرة، والحسن البصري، (وهو قول الأكثرين)[٣].

واستدل من قال بهذا القول بعدة أدلة، منها:

---

(١) انظر: تفسير البغوي ص (٨٠٨)، وتفسير الطبري (٣٦٤/٨)، وأضواء البيان (٢٦٥/٤).

(٢) يقول البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٩/١) " اختلف أهل العلم بالتفسير في معنى هذا الورود: فذهب عبدالله بن عباس في أصح الروايتين عنه إلى أن المراد به: الدخول... وروي عن عبد الله بن السائب، عمن سمع ابن عباس يقول: هم الكفار، ولا يردها مؤمن، وهذا منقطع، والرواية الأولى عن ابن عباس أكثر، وأشهر ".

(٣) تفسير البغوي ص (٨٠٨).

الأول: (ما ذكره ابن عباس (رضي الله عنهما) من أن جميع ما في القرآن من ورود النار معناه: دخولها؛ غير محل النزاع، فدل ذلك على أن محل النزاع كذلك، وخير ما يفسر به القرآن القرآن)[(١)].

يقول الشنقيطي: (قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن من أنواع البيان التي تضمنها الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل استقرائي على عدم خروجه من معنى الآية، وقد قدمنا أمثلة لذلك.

فإذا علمت ذلك فاعلم أن ابن عباس (رضي الله عنهما) استدل على المراد بورود النار في الآية بمثل ذلك الدليل الذي ذكرنا أنه من أنواع البيان في هذا الكتاب المبارك.

وإيضاحه: أن ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة، والمراد في كل واحدة منها: الدخول، فاستدل بذلك ابن عباس على أن الورود في الآية التي فيها النزاع هو: الدخول؛ لدلالة الآيات الأخرى على ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]، قال: فهذا ورود دخول.

وكقوله: ﴿لَوْ كَانَ هَـٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩]، فهو ورود دخول أيضا.

وكقوله: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦].

---

(١) أضواء البيان (٤/٢٦٦).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وبهذا استدل ابن عباس على نافع بن الأزرق في أن الورود: الدخول[1])[2].

الثاني: (أن في نفس الآية قرينة دالة على ذلك، وهي: أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور بقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا ﴾ [مريم: ٧٢]، أي: نترك الظالمين فيها؛ دليل على أن ورودهم لها دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ﴿ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا ﴾، بل يقول: وندخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى.

---

(١) انظرها في شعب الإيمان للبيهقي (٥٦٩/١).

فائدة: يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٥٠/١٧): "الورود: حقيقته الوصول إلى الماء للاستقاء، ويطلق على الوصول مطلقا مجازا شائعا، وأما إطلاق الورود على الدخول فلا يعرف؛ إلا أن يكون مجازا غير مشهور، فلا بد له من قرينة" ا.هـــ.

وكل من قال بأن الورود يأتي بمعنى الدخول من الصحابة فمن بعدهم يرد هذا، والله أعلم.

(٢) أضواء البيان (٢٦٤/٤ – ٢٦٥).

وكذلك قوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾، دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ قوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾)[1].

يقول البغوي: (قد قيل في قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] الورود عند العرب: موافاة المكان قبل دخوله، بدليل قوله (سبحانه وتعالى): ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠١].

وقد يكون الورود دخولا، وهو المراد من قوله (عز وجل): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، قاله ابن عباس، وهذا مذهب أهل السنة.

وقالوا: النار يدخلها البر والفاجر، ثم ينجي الله المؤمنين، لأن النجاة إنما تكون مما دخل فيه، وأيضا قال: ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢]، هذا يدل على أن الكل داخلوها، فأخرج الله البعض، وترك البعض)[2].

الثالث: حديث أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا: لا يدخلها مؤمن، وقال بعضهم: يدخلونها جميعا، ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله ب، فذكرت له ذلك، فقال وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه: صُمَّتَا إن لم أكن سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على

(١) أضواء البيان (٤/٢٦٦).

(٢) شرح السنة (١٤/١٩٤).

المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على إبراهيم، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا"(١).

وهذا الحديث نص في المسألة، لكنه حديث ضعيف، ومعناه صحيح، وسيأتي قول الألباني قريبا في الدليل الرابع، وهو:

الرابع: حديث أم مبشر (رضي الله عنها) أنها سمعت النبي (ﷺ) يقول عند حفصة (رضي الله عنها): "لا يدخل النار – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها"، قالت: بلى، يا رسول الله، فانتهرها، فقالت حفصة (رضي الله عنها):

(١) رواه عبد بن حميد كما في المنتخب (١٧٨/٢)، وقال محققه: "سند ضعيف، فيه أبو سمية"، وأحمد في المسند (٣٩٦/٢٢)، رقم: (١٤٥٢٠)، وقال محققوه: "إسناده ضعيف لجهالة أبي سمية"، وقال ابن رجب بعد أن ذكر الحديث في التخويف من النار ص (٢٥٢): "خرجه الإمام أحمد، وأبو سمية لا ندري من هو "ا.هـ، والحاكم في المستدرك (٦٣٠/٤)، وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، والبيهقي في الشعب (٥٧٢/١)، وقال: "هذا إسناد حسن، ذكره البخاري في التاريخ، وشاهده في الحديث الثابت عن أبي الزبير، عن جابر، عن أم مبشر، عن النبي (ﷺ) مثله، إلا أنه قال: خامدة، قال أبو عبيد: وإنما أراد تأويل قوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فيقول: ورودها، ولم يصبهم من حرها شيء إلا ليبر الله قسمه "ا.ه،، وقال الشنقيطي في أضواء البيان (٢٦٧/٤): "الظاهر أن الإسناد المذكور لا يقل عن درجة الحسن؛ لأن طبقته الأولى: سليمان بن حرب، وهو ثقة إمام حافظ مشهور، وطبقته الثانية: أبو صالح، أو أبو سلمة غالب بن سليمان العتكي الجهضمي الخراساني أصله من البصرة، وهو ثقة، وطبقته الثالثة: كثير بن زياد أبو سهل البرساني بصري نزل بلخ، وهو ثقة، وطبقته الرابعة: أبو سمية، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، قاله ابن حجر في تهذيب التهذيب، وبتوثيق أبي سمية المذكور تتضح صحة الحديث ؛ لأن غيره من رجال هذا الإسناد ثقات معروفون"، وضعف الحديث الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٧٦١)، وقد ردَّ فيه قول البيهقي، وهو متضمن للرد أيضا على الشنقيطي.

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فقال النبي (ﷺ): قد قال الله (ﷻ): ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] "[١].

ففي هذا الحديث أن حفصة فهمت من الآية أن ورود النار هو دخولها، وأقرها النبي (ﷺ) على فهمها، ونفى بقاءهم في النار، ولو كان الورود غير الدخول لبينه النبي (ﷺ)، ولم يستدل بقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾.

يقول البيهقي: (هذا يحتمل أن يكون النبي (ﷺ) إنما نفى عن أصحاب الشجرة دخول النار دخول البقاء فيها، أو دخولا يمسهم منها أذى، لا أصل الدخول، ألا تراه احتج بقوله: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢].

وقد يكون المحفوظ في الحديث الأول رواية سفيان بن عيينة فيكون ذلك ولوجا من غير مس نار، وإصابة أذى، كما روينا عن خالد بن معدان وهو من أكابر التابعين أنه قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة قالوا: يا رب ألم تعدنا أن نرد النار؟، قال: بلى مررتم بها وهي خامدة[٢]، وروينا عن مقاتل بن سليمان أنه قال: "يجعل الله النار على المؤمنين يومئذ بردا وسلاما كما جعلها على إبراهيم (عليه السلام)"[٣])[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة، ص (١٠٩٩)، رقم: (٦٤٠٤).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٢١٢/٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢١٢/٧)، وهناد بن السري في الزهد (١٦٦/١)، وروى ابن جرير في تفسيره (٣٦٤/٨) الأثر بلفظين الأول: "وهي خامدة"، والثاني: "وهي جامدة".

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان (٦٣٦/٢).

(٤) شعب الإيمان (٥٧٣/١).

ويقول الألباني: (في استدلال السيدة حفصة (رضي الله عنها) بآية الورود دليل على أنها فهمت الورود بمعنى: الدخول، وأنه عام لجميع الناس: الصالح والطالح منهم، ولذلك أشكل عليها نفي النبي (ﷺ) دخول النار في حق أصحاب الشجرة، فأزال (ﷺ) إشكالها بأن ذكرها بتمام الآية: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ [مريم: ٧٢].

ففيه: أنه (ﷺ) أقرها على فهمها المذكور، وأنه على ذلك أجابها بما خلاصته: أن الدخول المنفي في الحديث هو غير الدخول المثبت في الآية، وأن الأول خاص بالصالحين، ومنهم: أهل الشجرة، والمراد به: نفي العذاب، أي: أنهم يدخلونها مرورا إلى الجنة، دون أن تمسهم بعذاب، والدخول الآخر عام لجميع الناس، ثم هم فريقان: منهم من تمسه بعذاب، ومنهم على خلاف ذلك، وهذا ما وضحته الآية نفسها في تمامها...

قلت: فاستفدنا من الإقرار المذكور حكما لولاه لم نهتد إلى وجه الصواب في الآية، وهو: أن الورود فيها بمعنى: الدخول، وأنه لجميع الناس، ولكنها بالنسبة للصالحين لا تضرهم، بل تكون عليهم بردا وسلاما، كما كانت على إبراهيم، وقد روي هذا صراحة مرفوعا في حديث آخر لجابر، لكن استغربه الحافظ ابن كثير وبينت علته في الأحاديث الضعيفة[١]، لكن حديثه هذا عن أم مبشر يدل على صحة معناه، وقد مال إليه العلامة الشوكاني في تفسيره للآية[٢]، واستظهره من قبله القرطبي[٣]، وهو المعتمد)[٤].

---

(١) يقصد الألباني حديث أبي سمية المتقدم آنفا قبل هذا الدليل.

(٢) انظر: تفسير الشوكاني (٣/٣٤٤).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (١١/٩٨)، وذكرت قوله نصا في الدليل الخامس.

(٤) الآيات البينات في عدم سماع الأموات ص (٣٣).

الخامس: حديث أبي هريرة (ﷺ) قال: قال رسول الله (ﷺ): "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم" ثم قرأ سفيان: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١].

فالحديث دلالته ظاهرة في أن المسلم لا يدخل النار إلا تحلة القسم، أي: أنه يلج النار بمقدار تحلة القسم.

يقول البيهقي: (في هذا الحديث: "فتمسه النار إلا تحلة القسم": وهذا يؤكد قول من قال: المراد بالورود: الدخول)[1].

ويقول القرطبي: (ظاهر الورود: الدخول؛ لقوله (عليه السلام): "فتمسه النار"؛ لأن المسيس حقيقته في اللغة: المماسة، إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين، وينجون منها سالمين...

قلت: وهذا القول يجمع شتات الأقوال: فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها، ونجي منها، نجانا الله – تعالى – منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما، وخرج منها غانما)[2].

ويقول الشنقيطي ضمن كلامه عن قوله (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، وهل فيها قسم أم لا؟، يقول: (الذي يظهر لي – والله تعالى أعلم – أن الآية ليس يتعين فيها قسم؛ لأنها لم تقترن بأداة من أدوات القسم، ولا قرينة واضحة دالة على القسم، ولم يتعين عطفها على القسم، والحكم بتقدير قسم في كتاب الله دون قرينة ظاهرة فيه زيادة على معنى كلام الله بغير دليل يجب الرجوع إليه، وحديث أبي هريرة المذكور المتفق عليه لا يتعين منه أن في الآية

---

(١) شعب الإيمان (٥٧٠/١).

(٢) تفسير القرطبي (٩٨/١١).

قسما؛ لأن من أساليب اللغة العربية التعبير بتحلة القسم عن القلة الشديدة وإن لم يكن هناك قسم أصلا، يقولون: ما فعلت كذا إلا تحلة القسم، يعنون: إلا فعلا قليلا جدا؛ قدر ما يحلل به الحالف قسمه، وهذا أسلوب معروف في كلام العرب، ومنه قول كعب بن زهير في وصف ناقته:

تخدي على يسرات وهي لاصقة ** ذوابل مسهن الأرض تحليل[١]

يعني: أن قوائم ناقته لا تمس الأرض لشدة خفتها إلا قدر تحليل القسم، ومعلوم: أنه لا يمين من ناقته أنها تمس الأرض حتى يكون ذلك المس تحليلا لها كما ترى، وعلى هذا المعنى المعروف فمعنى قوله (ﷺ): "إلا تحلة"، أي: لا يلج النار إلا ولوجا قليلا جدا، لا ألم فيه، ولا حر)[٢].

السادس: حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، قال: "يدخلونها، أو يلجونها، ثم يصدرون منها بأعمالهم"، قلت له: إسرائيل، حدثه عن النبي (ﷺ)؟، قال: نعم، هو عن النبي (ﷺ)، أو كلاما هذا معناه[٣]، وفي رواية: "يدخل الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم"[٤]، وفي رواية: "يرد الناس النار، ثم يصدرون بأعمالهم"[٥]، وفي رواية: "يردونها، ثم يصدرون بأعمالهم"[٦].

---

(١) ديوان كعب بن زهير ص (٦٤)، ونصه:

تخدي على يسرات وهي لاحقة ذوابل وقعهن الأرض تحليل

وأشار المحقق: إلى أنه يروى لاهية بدل لا حقة.

(٢) أضواء البيان (٢٦٩/٤).

(٣) رواه أحمد في المسند (١٩٦/٧)، رقم: (٤١٢٨)، وقال محققوه: "إسناده حسن".

(٤) حلية الأولياء (١٦٧/٤).

(٥) البيهقي في الاعتقاد ص (٢٠٣)، وابن خزيمة في التوحيد (٨٩٩/٢)، والحاكم في المستدرك (٤٠٧/٢).

(٦) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم، ص (٧١٤)، رقم: (٣١٦٠).

يقول السندي: (قوله: "ويلجونها": من: الولوج، وهو: الدخول، فالعطف للتأكيد دفعا لحمل الدخول على المرور من قربها[١]، وقد حمل كثير منهم الورود على المرور، إلا أن هذا الأثر صريح في أن المراد الدخول حقيقة، ولو ثبت ذلك فلا بد من القول بأن النار تكون على من لا يستحقها بردا وسلاما، والفاعل تعالى قادر على كل شيء، والله – تعالى – أعلم)[٢].

(**فإن قيل:** إذا لم يكن على المؤمنين عذاب في دخولهم النار فما الفائدة في ذلك الدخول؟.

قلنا: فيه وجوه:

أحدها: أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه.

وثانيها: أن فيه مزيد غم على أهل النار؛ من حيث يرون المؤمنين الذين هم أعداؤهم يتخلصون منها، وهم يبقون فيها.

وثالثها: أن فيه مزيد غم على أهل النار من حيث تظهر فضيحتهم عند المؤمنين، بل وعند الأولياء، وعند من كان يخوفهم من النار؛ فما كانوا يلتفتون إليه.

ورابعها: أن المؤمنين إذا كانوا معهم في النار يبكتونهم، فزاد ذلك غما للكفار، وسرورا للمؤمنين.

وخامسها: أن المؤمنين كانوا يخوفونهم بالحشر والنشر، ويقيمون عليهم صحة الدلائل، فما كانوا يقبلون تلك الدلائل، فإذا دخلوا جهنم معهم أظهروا لهم أنهم كانوا صادقين فيما قالوا، وأن المكذبين بالحشر والنشر كانوا كاذبين.

---

(١) جاء في بعض نسخ المسند: "يدخلونها، ويلجونها" أفاده محققو المسند (١٩٦/٧)، وهي النسخة التي يعلق عليها السندي.

(٢) حاشية السندي على المسند (٦٧١/١ – ٦٧٢).

وسادسها: أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة، كما قال الشاعر:

وبضدها تتبين الأشياء[١])[٢].

القول الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم.

وهذا القول مروي عن ابن عباس ب، وابن مسعود (ﷺ)، وجابر بن عبد الله (رضي الله عنهما)، وكعب الأحبار، والسدي، وقتادة، والحسن البصري، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، والكلبي، وغيرهم.

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، يعني: جهنم مر الناس عليها[٣].

ويقول أبو حيان: (وعلى قول من قال: الخطاب عام، وأن المؤمنين والكافرين يدخلون النار، ولكن لا تضر المؤمنين، وذكروا كيفية دخول المؤمنين النار بما لا يعجبني نقله في كتابي هذا؛ لشناعة قولهم أن المؤمنين يدخلون النار، وإن لم تضرهم)[٤].

ولعل أدلة هؤلاء ينتظمها أمران:

---

(١) بيت لأبي الطيب المتنبي انظره في شرح ديوان المتنبي للعكبري (٨١/١).

(٢) تفسير الرازي (٢٢٢/٢٢ – ٢٢٣).

(٣) رواه ابن جرير الطبري (٣٦٥/٨)، بسند حسن، كما في الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور (٣٤٨/٣).

(٤) البحر المحيط (٢٨٩/٧).

الأمر الأول: أنهم يستدلون بجميع أدلة أهل القول الأول، ويقولون: إنه لا يلزم من الورود الدخول، وإن المراد من ورود النار: المرور على الصراط؛ إذ هو جسر منصوب على ظهر جهنم، فمن مرَّ عليه فقد ورد جهنم.

فيقولون مثلا في حديث حفصة (رضي الله عنها) السابق: (أشار (ﷺ) إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها)[1]، وفيه: (تسليم أن الورود دخول، لكنه دخول عبور، فينجو من اتقى، ويترك من ظلم، وبيان ذلك: أن جهنم –أعاذنا الله منها – محيطة بأرض المحشر، وحائلة بين الناس وبين الجنة، ولا طريق للجنة إلا الصراط الذى هو جسر ممدود على متن جهنم، فلا بد لكل من ضمه المحشر من العبور عليه، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكردس في نار جهنم كما تقدم، وهذا قول الحسن، وقتادة، وهو الذي تعضده الأخبار الصحيحة، والنظر المستقيم)[2].

يقول النووي: (قال العلماء معناه: لا يدخلها أحد منهم قطعا، كما صرح به في الحديث الذي قبله حديث حاطب، وإنما قال: "إن شاء الله" للتبرك، لا للشك.

وأما قول حفصة: "بلى"، وانتهار النبي (ﷺ) لها دليل على المناظرة والاعتراض، والجواب على وجه الاسترشاد، وهو مقصود حفصة، لا أنها أرادت رد مقالته (ﷺ).

والصحيح: أن المراد بالورود في الآية: المرور على الصراط، وهو: جسر منصوب على جهنم، فيقع فيه أهلها، وينجو الآخرون)[3].

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (٦٠٦ – ٦٠٧).

(٢) المفهم (٦/٤٤٤).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/٢٧٥).

ويقولون في قوله (ﷺ): "لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار": (الجنة: الوقاية والستر، ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه أصلا، ولو مسته لما كان موقى)[١].

ويقولون: إن قوله (ﷻ): ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا﴾ [مريم: ٧٢] لا يلزم منه أن المؤمنين دخلوا النار، ثم خرجوا منها، وذلك (أن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكوه، ولم يتمكنوا منه، يقال: نجاه الله منهم.

ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا ﴾ [هود: ٥٨]، ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا ﴾ [هود: ٦٦]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا ﴾ [هود: ٩٤]، ولم يكن العذاب أصابهم، ولكن أصاب غيرهم، ولولا ما خصهم الله به من أسباب النجاة لأصابهم ما أصاب أولئك، وكذلك حال الوارد في النار، يمرون فوقها على الصراط، ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثيا)[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (معلوم أنه إذا كان قد أخبرهم أن جميع الخلائق يعبرون الصراط، ويردون النار بهذا الاعتبار، لم يكن قوله لهم: فلان لا يدخل الجنة منافيا لهذا العبور، ولهذا قال: ألم تسمعيه قال: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾، فأخبرها أن هذا الورود لا ينافي عدم الدخول الذي أخبرت به، فالذين نجاهم الله بعد الورود – الذي هو: العبور – لم يدخلوا النار... وقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ فيه بيان نعمة الله على المتقين أنهم مع الورود

---

(١) تفسير القرطبي (٩٨/١١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص (٦٠٧).

والعبور عليها، وسقوط غيرهم فيها؛ نجوا منها، والنجاة من الـشر لا تـستلزم حصوله، بل تستلزم انعقاد سببه، فمن طلبه أعداؤه ليهلكوه ولم يتمكنـوا منـه، يقال: نجاه الله منهم...

فقوله (ﷻ): ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ ﴾ لا يقتضي أنهم كانوا معذبين ثم نجوا، لكن يقتضي أنهم كانوا معرضين للعذاب الذي انعقد سببه، وهذا هو الورود.

فقوله (ﷺ): "لن يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة" لا ينافي هذا الـورود، فإن مجرد الورود ليس بعذاب، بل هو تعريض للعذاب، وهو إنما نفى الـدخول الذي هو العذاب، لم ينف التقريب من العذاب، ولا انعقاد سـببه، ولا الـدخول على سطح مكان العذاب)[1].

ويعترض عليهم بأن الأدلة صريحة في أن المراد من الورود: الدخول، وسبق بيانها، فتكون النجاة من النار نجاة منها بعد دخولها.

الأمر الثاني: الاستدلال بأحاديث ضعيفة، كحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال (ﷺ): "علم الناس سنتي، وإن كرهوا ذلك، وإن أحببت أن لا توقف على الصراط طرفة عين حتى تدخل الجنة فلا تحدثن في دين الله حدثا برأيك"[2].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧/٤٩ – ٥١)، وانظر: (٥/٢٣٠).

(٢) هو قطعة من حديث رواه أبو الطاهر السلفي في الأربعين البلدانية ص (١٥٦)، وأبو نعيم، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٥/١٤٤)، والسبكي في طبقات الشافعية (٣/٤٤٨)، وأبو نصر الوائلي في كتاب الإبانة كما في البداية والنهاية لابن كثير (٢٠/٩٥)، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (١/٢٦٤)، وقال: "هذا حديث لا يصح عن رسول الله (ﷺ)، وقد غطى بعض الرواة عورة عواره بأن قال: حدثنا أبو همام القرشي، وهذا عندي من أعظم الخطأ أن يهرج بكذاب، واسمه محمد بن مجيب، قال يحيى بن معين: كذاب عدو الله، وقال أبو حاتم الرازي: ذاهب الحديث "ا.هـ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٦٥): "موضوع"، وانظر فيه تفصيل القول في الحديث.

وحديث يعلى بن منية (ﷺ) **أن رسول الله** (ﷺ) **قال:** "تقول النار للمؤمن يوم القيامة: جز يا مؤمن، فقد أطفأ نورك لهبي"[(١)].

والضعيف لا يصلح للاحتجاج به.

القول الثالث: أن الورود المذكور هو الحضور عند النار، والإشراف عليها، والقرب منها:

وممن (قاله: عبيد بن عمير)[(٢)].

وهؤلاء استدلوا بعدة أدلة، منها:

الأول: أن المؤمن الغير مفرط لا يجوز أن يدخل النار أبدا، كما دل عليه مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢].

قالوا: المبعد عنها لا يوصف بأنه واردها، ولو وردوا جهنم لسمعوا حسيسها.

ورد عليه: بأن المبعد هو الذي لولا التبعيد لكان قريبا من النار، أو هو فيها، وأن عدم سماع الحسيس إنما يكون بعد التبعيد، لا قبله.

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل (١٣٠/٨)، وقال: "منصور بن عمار أبو السري منكر الحديث" ا.هـ، وتمام في فوائده (٣٧٤/١)، وأبو نعيم في الحلية (٣٢٩/٩)، والبيهقي في الشعب (٥٧٧/١)، وقال: "تفرد به سليم بن منصور، وهو منكر"، وقال الهيثمي في المجمع (٣٦٠/١٠): "رواه الطبراني، وفيه سليم بن منصور بن عمار، وهو ضعيف"، وأورده ابن الجوزي في العلل المتناهية (٤٣٤/٢ – ٤٣٥)، والألباني في السلسة الضعيفة (٣٤١٣).

(٢) زاد المسير ص (٨٩٤).

ورد أيضا: بأن مقصود الآية أنهم مبعدون عن عذابها وألمها، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم، ولا حر منها، (واحتج عليهم الآخرون أهل المقالة الأولى بأن معنى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ عن العذاب فيها، والإحراق بها، قالوا: فمن دخلها وهو لا يشعر بها، ولا يحس منها وجعا، ولا ألما؛ فهو مبعد عنها في الحقيقة)[1].

ورد أيضا: بأن الآية (تضمنت الإخبار عن أهل الجنة حين كونهم فيها، وحينئذ لا يسمعون حسيسها)[2]، ويشهد له تمام الآية: ﴿وَهُمْ فِي مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٢].

يقول الشنقيطي: (قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١].

هذه الآية الكريمة تدل على أن كل الناس لا بد لهم من ورود النار، وأكد ذلك بقوله: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]، وقد جاء في آية أخرى ما يدل على أن بعض الناس مبعد عنها لا يسمع لها حسا، وهي قــوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢] الآية.

والجواب هو ما ذكره الألوسي وغيره: من أن معنى قوله: ﴿مُبْعَدُونَ ﴾، أي: عن عذاب النار وألمها، وقيل: المراد إبعادهم عنها بعد أن يكونوا قريبا منها)[3].

---

(١) تفسير القرطبي (٩٦/١١).

(٢) زاد المسير ص (٨٩٤).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ص (١٤٧).

الثاني: أن الورود بمعنى: الإشراف والمقاربة قد ورد في عدة آيات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ ﴾ [القصص: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتۡ سَيَّارَةٞ فَأَرۡسَلُواْ وَارِدَهُمۡ فَأَدۡلَىٰ دَلۡوَهُۥۖ ﴾ [يوسف: ١٩].

وموسى (عليه السلام) لم يدخل ماء مدين، والوارد لم يدخل البئر، بل قربا من الماء، وأشرفا عليه.

وقال بعضهم: (إن موسى لما أقام حتى استقى الماء، وسقى الغنم؛ كان بلبثه ومباشرته كأنه دخل)(١).

الثالث: أن هذا المعنى معروف في كلام العرب، ومما قالوا: وردت القافلة البلد، وإن لم تدخله، ولكن قربت منه.

القول الرابع: أن حظ المؤمنين من ذلك الورود هو حر الحمى في دار الدنيا.

قال مجاهد في قول الله (عز وجل): ﴿ وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] قال: (مَنْ حُمَّ من المسلمين فقد وردها)(٢).

ومن أدلة هؤلاء ما يأتي:

أولا: الأحاديث المخبرة بأن الحمى حظ المؤمن من النار، كما في حديث أبي أمامة (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "الحمى من كير من جهنم، فما أصاب

---

(١) زاد المسير ص (٨٩٤).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٥٧٧/١)، وانظر: زاد المسير ص (٨٩٤).

المؤمن منها كان حظه من النار"[1].

والذي يظهر – والله أعلم – أن مقصود هذه الأحاديث أن الحمى تطهر المؤمن من الذنوب، فلا يحتاج يوم القيامة إلى تطهيره بالنار، أما المرور على الصراط ودخول النار فهذا لازم لكل أحد.

يقول ابن رجب: (المعنى – والله أعلم –: أن حرارة الحمى في الدنيا تكفر ذنوب المؤمن، ويطهر بها، حتى يلقى الله بغير ذنب، فيلقاه طاهرا مطهرا من الخبث، فيصلح لمجاورته في دار كرامته دار السلام، ولا يحتاج إلى تطهير في

(١) رواه أحمد في المسند (٤٩٥/٣٦)، رقم: (٢٢١٦٥)، وقال محققوه: "حسن لغيره"، والطبراني في الكبير (٧٤٦٨)، والبيهقي في الآداب ص (٢٩٩)، وذكره الألباني في السلسة الصحيحة (١٨٢٢)، وقال بعد أن عدد طرقه: "وبالجملة فالحديث صحيح بهذه الطرق".

وفي الباب أحاديث أخر، جاء في تخريج أحاديث الإحياء للغزالي (٢١٨٨/٥): (قال العراقي: رواه أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة، وأبو صالح لا يعرف اسمه انتهى، قلت: ويقال هو: الأنصاري، روى له ابن ماجة في كتاب التفسير له، وقد رواه أيضا: الطبراني، وابن مردويه، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات، ولفظ الكل: "الحمى كير من جهنم، فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار"، وفي الصحيحين: "الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء"، وروى الطبراني، وابن قانع، وابن مردويه، والشيرازي في الألقاب، وابن عساكر؛ من حديث أبي ريحانة الأنصاري: "الحمى كير من جهنم، وهي نصيب المؤمن من النار"، وعند ابن النجار: "من كير جهنم، وهي حظ المؤمن من النار"، روى الطبراني في الأوسط من حديث أنس: "الحمى حظ المؤمن النار"، وزاد ابن عساكر من حديث عثمان بن عفان: "يوم القيامة"، وروى البزار من حديث عائشة: "الحمى حظ كل مؤمن من النار"، ورواه كذلك القضاعي من حديث ابن مسعود بزيادة: "وحمى ليلة تكفر خطايا سنة مجرمة") ا.هـ، وانظر: السلسة الصحيحة للألباني (١٨٢١).

كير جهنم غدا؛ حيث لم يكن فيه خبث يحتاج إلى تطهير، وهذا في حق المؤمن الذي حقق الإيمان، ولم يكن له ذنوب، إلا ما تكفره الحمى، وتطهره.

وقد تواترت النصوص عن النبي (ﷺ) بتكفير الذنوب بالأسقام والأوصاب، وهي كثيرة جدا يطول ذكرها)[١].

ثانيا: حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: "الحمى من فيح جهـنم، فأبردوها بالماء"[٢].

يقول الشنقيطي: (احتج من قال: بأن ورود النار في الآية بالنسبة للمؤمنين: حر الحمى في دار الدنيا بحديث: "الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء"، وهو حديث متفق عليه...

وأجابوا عن الاستدلال بحديث: "الحمى من فيح جهنم" بالقول بموجبه، قالوا: الحديث حق صحيح، ولكنه لا دليل فيه لمحل النزاع؛ لأن السياق صريح في أن الكلام في النار في الآخرة، وليس في حرارة منها في الدنيا؛ لأن أول الكلام قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ **[مريم: ٦٨]، إلى أن قال:** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]، فدل على أن كل ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى)[٣].

---

(١) مجموع رسائل ابن رجب (٣٧٤/٢).

(٢) البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، ص (٥٤٤)، رقم: (٣٢٦٤)، ومسلم، كتاب السلام، باب لكل داء دواء، واستحباب التداوي، ص (٩٧٨)، رقم: (٥٧٥١).

(٣) أضواء البيان (٢٦٥/٤ – ٢٦٧).

القول الخامس: أن المراد بقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] هم الكفار المحضرون حول جهنم المذكورون في أول الآيات في قوله (ﷻ): ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٦٨].

وهذا القول مروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، فقد روي عنه أنه كان يقرأ قوله (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]: (وإن منهم إلا واردها)، وكذلك كان يقرأ عكرمة، وجماعة، وكان يقول عكرمة: وهم الظلمة، وهو مروي أيضا عن زيد بن أسلم[١].

وهذا التأويل (بعيد جدا)[٢]، والصحيح هو قول الأكثر، وهو: أن (المخاطب العالم كله، ولا بد من ورود الجميع)[٣].

القول السادس: أن المراد بقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]: يوم القيامة، وأن الجميع سيبعثون.

يقول البغوي: (روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] يعني: القيامة، والكناية راجعة إليها)[٤].

القول السابع: أن المراد بقوله: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] هو: النظر إلى النار في القبر[٥]، كما جاء مصرحا به في حديث عبد الله بن عمر

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/٩٧ – ٩٨).

(٢) مجموع رسائل ابن رجب (٤/٣٦١).

(٣) تفسير القرطبي (١١/٩٨).

(٤) تفسير البغوي ص (٨٠٨).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١١/٩٧).

(رضي الله عنهما): "إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة، والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة"(١).

القول الثامن: أن قوله (ﷻ): ﴿ **وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا** ﴾ [مريم: ٧١] منسوخ بقوله (ﷻ): ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا** ﴾ [الأنبياء: ١٠١ – ١٠٢].

وهذا قول (ضعيف، وليس هذا موضع نسخ)(٢).

والذي يظهر – والله أعلم – أن أرجح الأقوال: قول من قال: إن الورود هو الدخول، أو المرور على الصراط.

والذي يظهر – والله أعلم – أنه لا منافاة بينهما، بل هما قول واحد، وذلك أن الورود هو: الدخول، ويكون دخول الكفار، والمنافقين، وبعض عصاة المؤمنين؛ دخول مكث، ولبث في نار جهنم، ويكون دخول المؤمنين الناجين من النار دخول مرور عليها بالمرور على الصراط، كما بينته الأحاديث المتكاثرة التي سيأتي معظمها في هذا البحث(٣).

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي، ص (٢٢١)، رقم: (١٣٧٩)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب عرض مقعد الميت من الجنة والنار عليه، وإثبات عذاب القبر، ص (١٢٤٢)، رقم: (٧٢١١).

(٢) تفسير ابن عطية ص (١٢٣٨).

(٣) أشار بعض أهل العلم إلى قضية الجمع بين الأدلة في المسالة، كما في قول القرطبي في تفسيره (٩٨/١١): "الاستثناء في قوله: (عليه السلام): "إلا تحلة القسم" يحتمل أن يكون استثناء منقطعا: لكن تحلة القسم، وهذا معروف في كلام العرب، والمعنى: ألا تمسه النار أصلا، وتم الكلام هنا، ثم ابتدأ "إلا تحلة القسم"، أي: لكن تحلة القسم لابد منها، في=

يقول الحافظ ابن حجر: (وهذان القولان أصح ما ورد في ذلك، ولا تنافي بينهما؛ لأن من عبر بالدخول تجوز به عن المرور، ووجهه أن المار عليها فوق الصراط في معنى من دخلها، لكن تختلف أحوال المارة باختلاف أعمالهم: فأعلاهم درجة من يمر كلمع البرق... ويؤيد صحة هذا التأويل: ما رواه مسلم من حديث أم مبشر: إن حفصة قالت للنبي (ﷺ) لما قال: "لا يدخل أحد شهد الحديبية النار"، أليس الله يقول: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فقال لها: "أليس الله – تعالى – يقول: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا ﴾ [مريم: ٧٢] الآية.

وفي هذا بيان ضعف قول من قال: الورود مختص بالكفار، ومن قال: معنى الورود: الدنو منها، ومن قال: معناه: الإشراف عليها، ومن قال: معنى ورودها ما يصيب المؤمن في الدنيا من الحمى؛ على أن هذا الأخير ليس ببعيد، ولا ينافيه بقية الأحاديث، والله أعلم)[1].

=قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، وهو: الجواز على الصراط، أو الرؤية، أو الدخول دخول سلامة، فلا يكون في ذلك شي من مسيس لقوله (عليه الصلاة والسلام): "لا يموت لأحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم إلا كانوا له جنة من النار"، والجنة: الوقاية والستر، ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه أصلا، ولو مسته لما كان موقى".

وقول الشوكاني في فتح القدير (٤٧٤/٣): "ولا يخفى أن القول بأن الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك، لأنه قد حصل الجمع بحمل الورود على دخول النار، مع كون الداخل من المؤمنين مبعدا من عذابها، أو بحمله على المضي فوق الجسر المنصوب عليها، وهو الصراط".

(١) فتح الباري (١٤٩/٣).

ويقول ابن حزم ضمن كلام له: (قد قال (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢].

فقد بين (عليه السلام) ذلك بقوله في الخبر الصحيح: "ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم"[(١)].

فبالقرآن وكلام رسول الله (ﷺ) صح أن ممر الناس من محشرهم إلى الجنة إنما هو بخوضهم وسط جهنم، وينجي الله أولياء من حرها، وهم: الذين لا كبائر لهم، أو لهم كبائر تابوا عنها، ورجحت حسناتهم بكبائرهم، أو تساوت كبائرهم وسيئاتهم بحسناتهم، وأنه – تعالى – يمحص من رجحت كبائره وسيئاته، ثم يخرجهم عنها إلى الجنة بإيمانهم، ويمحق الكفار بتخليدهم في النار)[(٢)].

ويقول القرطبي: (ظاهر الورود: الدخول؛ لقوله (عليه الصلاة والسلام): "فتمسه النار"؛ لأن المسيس حقيقته في اللغة: المماسة، إلا أنها تكون بردا وسلاما على المؤمنين، وينجون منها سالمين...

قلت: وهذا القول يجمع شتات الأقوال: فإن من وردها ولم تؤذه بلهبها وحرها فقد أبعد عنها، ونجي منها، نجانا الله – تعالى – منها بفضله وكرمه، وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما، وخرج منها غانما)[(٣)].

---

(١) سبق عزوه ص ( ).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٤٥٠).

(٣) تفسير القرطبي (١١/٩٨).

الدليل الثاني[1]: الأحاديث التي ذكرت أن من فضائل بعض الأعمال أنه لا تمسه النار إلا تحلة القسم:

كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) **أن النبي** (صلى الله عليه وسلم) **قال:** "لا يموت لمسلم ثلاثة من الولد فيلج النار، إلا تحلة القسم"، قال أبو عبد الله تحلة القسم الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١][2].

وفي رواية: " لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلة القسم "[3].

يقول النووي: (قال العلماء: "تحلة القسم": ما ينحل به القسم، وهو: اليمين، وجاء مفسرا في الحديث أن المراد : قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١].

وبهذا قال أبو عبيد، وجمهور العلماء، والقسم مقدر، أي: والله إن منكم إلا واردها.

وقيل: المراد قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ﴾ [مريم: ٦٨].

---

(١) الدليل الثاني من الأدلة المثبتة للصراط، ولطول الفصل بينه وبين الدليل الأول نبهت.

(٢) البخاري، كتاب الجنائز، باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ص (٢٠٠)، رقم: (١٢٥١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ص (١١٤٧)، رقم: (٦٦٩٧).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ﴾، ص (١١٥٠)، رقم: (٦٦٥٦)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ص (١١٤٧)، رقم: (٦٦٩٦)، واللفظ له.

وقال ابن قتيبة: معناه: تقليل مدة ورودها، قال: وتحلة القسم تستعمل في هذا في كلام العرب.

وقيل: تقديره: ولا تحلة القسم، أي: لا تمسه أصلا، ولا قدرا يسيرا، كتحلة القسم.

والمراد بقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]: المرور على الصراط، وهو: جسر منصوب عليها، وقيل: الوقوف عندها)[١].

ويقول البغوي في شرح السنة: (قوله: "إلا تحلة القسم": مصدر: حللت اليمين، تحليلا، وتحلة، أي: أبررتها، يريد: إلا قَدْر ما يُبِرُّ الله قسمه فيه، وهو قوله (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]، فإذا مر بها وجاوزها فقد أبر قسمه.

وقيل: ليس في قوله (ﷻ): ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١] قسم فتكون له تحلة، ولكن معناه: إلا التعذير الذي لا يصيبه منه مكروه، من قول العرب: ضربه تحليلا، وضربه تعذيرا: إذا لم يبالغ في ضربه، والأول أصح، وموضع القسم مردود إلى قوله (ﷻ): ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ ﴾ [مريم: ٦٨].

وقيل: القسم فيه مضمر، معناه: وإن منكم والله إلا واردها، كقوله (ﷻ): ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ ﴾ [النساء: ٧٢]: أي: والله لمن ليبطئن)[٢].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣٩٦/١٥ – ٣٩٧)، وانظر: المفهم (٦٣٩/٦ – ٦٤٠).

(٢) شرح السنة للبغوي (٤٥٠/٥ – ٤٥١).

الدليل الثالث: دليل الإجماع:

كثير من أهل العلم يقررون إثبات الصراط في كتبهم، وعقائدهم، وهذا مما لا يكاد يحصى، ومقصود هذا الدليل ذكر بعض أهل العلم الذين ينصون على إجماع السلف على إثبات الصراط، ومن هؤلاء:

ما ذكره ابن أبي حاتم بقوله: (سألت أبي، وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان في ذلك؟، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازا، وعراقا، وشاما، ويمنا؛ فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص... والصراط حق)[1].

وقال أبو الحسن الأشعري: (أجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك)[2].

وقال القاضي عياض: (وفيه: صحة أمر الصراط، والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره، دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته)[3].

وقال النووي بعد ذكره بعض أحاديث الصراط: (وفي هذا: إثبات الصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته)[4].

---

(١) شرح اعتقاد أهل السنة للالكائي (١/١٧٦ - ١٧٧).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر ص (٢٨٦)، وانظر: مقالات الأشعري (١/٢٩٣).

(٣) إكمال المعلم (١/٥٥٠).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٢).

المبحث الثالث

الوقت الذي ينصب فيه الصراط

ظاهر الأحاديث – والله أعلم – تدل على أن نصب الصراط لا يكون إلا بعد وصول الناس إلى جهنم، ورؤيتهم لها، ومن هذه الأحاديث:

أولا: حديث أبي سعيد الخدري (ﷺ)، وفيه: أن النبي (ﷺ) قال: "ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم"(١).

وفي رواية: "ثم يضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة"(٢).

ثانيا: حديث أبي هريرة (ﷺ)، وفيه: أن النبي (ﷺ) قال: "فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته"(٣).

وفي رواية: "فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب جسر جهنم"، قال رسول الله (ﷺ): "فأكون أول من يجيز"(٤).

وفي رواية: "فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها"(٥).

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٤ – ٩٥)، رقم: (٤٥٤).

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص (١٣٠ – ١٣١)، رقم: (٨٠٦).

(٤) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ص (١١٣٧)، رقم: (٦٥٧٣).

(٥) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٧٩)، رقم: (٧٤٣٧).

وفي رواية: "فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز "[١].

ثالثا: حديث يزيد الفقير في تحديث جابر (ﷺ) في ذكر الجهنمين، وفيه: "ثم نعت وضع الصراط، ومر الناس عليه"[٢].

فظاهر هذه الأحاديث وغيرها أن نصب الصراط ووضعه على متن جهنم إنما يكون حين وصول الناس إلى جهنم، ورؤيتهم لها، والله أعلم.

يقول ابن رجب: (الأحاديث الصحيحة تدل على أن الصراط إنما يوضع بعد الإذن في الشفاعة)[٣].

وذهب بعضهم إلى جواز أن يكون الصراط مخلوقا مع خلق النار، وأن معنى وضع الصراط يومئذ هو: الإذن بالمرور عليه.

يقول القاضي عياض (قوله: "ثم يضرب الصراط على ظهرانى جهنم":... فيه صحة أمر الصراط، والإيمان به، والسلف مجمعون على حمله على ظاهره دون تأويل، والله أعلم بحقيقة صفته، وهو الجسر، كما جاء فى الحديث الآخر، ويقال بكسر الجيم، وفتحها، ويجوز أن يجدعه الله حينئذ، ويجوز أن يكون الله قد خلقه قبل هذا حين خلق جهنم، قال بعضهم: فيكون قوله على هذا: "يضرب": أي: يؤذن بالمرور عليه، كما يقال: ضرب الامير البعث، وضربت عليهم الجزية، أي: جعلت)[٤].

والأول أظهر، وأرجح، والله أعلم.

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٢ – ٩٣)، رقم: (٤٥١).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٠)، رقم: (٤٧٣).

(٣) التخويف من النار ص (٢٣٢).

(٤) إكمال المعلم (١/٥٥٠ – ٥٥١).

المبحث الرابع

أين ينصب الصراط على جهنم

مجموع الأحاديث تدل أن الصراط يضرب على متن وظهراني جهنم، ويمد عليها، فيكون مستويا على وسطها، وفي أعلاها، ومر أكثرها فيما سبق، كحديث أبي سعيد الخدري (﵁)، وفيه: أن النبي (ﷺ) قال: "ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم"(١).

وحديث أبي هريرة (﵁)، **وفيه:** أن النبي (ﷺ) قال: "فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته"(٢).

وفي رواية: "فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها"(٣).

وفي رواية: "فيقولون: أنت ربنا، فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز"(٤).

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩).

(٢) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص (١٣٠ – ١٣١)، رقم: (٨٠٦).

(٣) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٧٩)، رقم: (٧٤٣٧).

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٢ – ٩٣)، رقم: (٤٥١).

يقول النووي: ("ويضرب الصراط بين ظهري جهنم"، هو بفتح الظاء، وسكون الهاء، ومعناه: يمد الصراط عليها)[1].

ويقول ابن الجوزي: (في هذا الحديث: "فينصب الصراط بين ظهراني جهنم"، أي: على وسطها، يقال: نزلت بين ظهريهم، وظهرانيهم – بفتح النون–، أي: في وسطهم، متمكنا بينهم، لا في أطرافهم)[2].

ويقول العيني: (قوله: "بين ظهري جهنم"، أي: على وسطها، ويروى: "بين ظهراني جهنم"، وكل شيء متوسط بين شيئين فهو بين ظهريهما، وظهرانيهما، وقال الداودي: يعني: على أعلاها، فيكون جسرا، ولفظ ظهري مقحم)[3].

ويقول المناوي: ("وعند الصراط إذا وضع بين ظهراني جهنم" بفتح الظاء، أي: على ظهرها، أي: وسطها كالجسر، فزيدت الألف والنون للمبالغة، والياء لصحة دخول بين على متعدد، وقيل: لفظ ظهراني مقحم)[4].

ويزاد عليها: أثر عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال: "يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف، مدحضة مزلة، عليه كلاليب من نار يختطف بها فممسك يهوي فيها، ومصروع، ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذاك أن ينجو، ثم كالريح ولا ينشب ذاك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كسعي الرجل، ثم كرمل الرجل، ثم كمشي الرجل، حتى يكون آخرهم إنسانا رجل قد لوحته النار ولقي فيها شرا حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته، فيقال له: تمن وسل، فيقول: أي رب ! أتهزأ مني، وأنت رب العزة، فيقال له: تمن وسل، قال:

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٢).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/٣٦٠).

(٣) عمدة القاري (٢٥/١٨٩)، وانظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣٣/٣٣٤).

(٤) التيسير بشرح الجامع الصغير (١/٢٣١).

حتى إذا انقطعت الأماني قال: لك ما سألت مثله معه"، قال: وحدثني أبو صالح، عن أبي هريرة، قال: وعشرة أمثاله معه[١].

يقول الخطابي: (قوله: سواء جهنم، أي: متن جهنم، وسواء كل شيء: وسطه)[٢].

وقال ابن الأثير: (سواء الشيء: وسطه؛ لاستواء المسافة إليه من الأطراف... ومنه: حديث ابن مسعود: "يوضع الصراط على سواء جهنم")[٣].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩/٢٠٣)، موقوفا على عبد الله بن مسعود (ﷺ) من قوله، جاء في تخريج أحاديث الإحياء (١/٢٦٣): "في آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع"، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥٣١٠): "رواه الطبراني بإسناد حسن، وليس في أصلي رفعه"، وحسن إسناده الهيتمي في الزواجر (٢/٤٠٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٦٢٧): "صحيح لغيره".

(٢) غريب الحديث (٢/٢٤٧).

(٣) النهاية لابن الأثير ص (٤٥٢).

المبحث الخامس

وقت المرور على الصراط

الذي يظهر من الأحاديث النبوية أن المرور على الصراط يكون قبل دخول الجنة وبعد كثير من أحداث يوم القيامة من: الحشر، والحوض[١]، والعرض، والحساب، والميزان... فإن (الغرض من وضع الصـــراط إنما هو لانصراف الناس إلى أماكن استقرارهم من الجنة أو النار، فهو متأخر عن كل ما يقع في الموقف)[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (من مر على الصـــراط دخل الجنة)[٣].

(١) يرى بعض أهل العلم أن الحوض بعد الصراط، وبعضهم يرى أن الحوض حوضان: حوض قبل الصراط، وحوض بعده، وبعضهم يقول: إنه ممتد من العرصات إلى ما بعد الصراط، والذي تدل عليه الأدلة أن الحوض حوض واحد، وهو قبل الصراط، والله أعلم، وانظر: التذكرة للقرطبي (٧٠٢/٢ - ٧٠٣)، وفتح الباري لابن حجر (٤٦٦/١١)، ولوامع الأنوار السفارينية (١٩٥/٢)، والحوض والصـــراط والميزان عند المتكلمين (٤٤ - ٤٨).

(٢) الحياة الآخرة (١٢٦٣/٣).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٧/٣).

المبحث السادس
صفة الصراط

لما كان الصراط من أهوال يوم القيامة العظيمة، وهو مضروب على جهنم، وهو يقسم الناس جميعا إلى صنفين: ناج قد سلم من النار إلى الجنة، وساقط في نار الجحيم.

فلما كان الصراط بهذه المكانة بين لنا النبي (ﷺ) صفته أوضح بيان؛ حتى يكون المرء على علم بما سيلقاه في أخراه، وليستعد له ويتزود في دنياه.

وقد جاءت الأحاديث النبوية بعدة صفات للصراط المنصوب على ظهر جهنم، وسأحاول أن أجمعها فيما يأتي:

الصفة الأولى: أن الصراط جسر حقيقي منصوب على ظهر جهنم يصل بين طرفيها[١]:

على هذا تواردت وتواترت الأحاديث بما لا يحصى إلا بكلفة، كما في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، وفيه: أن النبي (ﷺ) قال: "ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم"[٢].

---

(١) **فائدة:** يقول ابن رجب في التخويف من النار ص (٢٣٠): "في حديث الصور الطويل، الذي سبقت الإشارة إليه، عن أبي هريرة، عن النبي (ﷺ) قال: "ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم، كقدر الشعرة، أو كحد السيف، له كلاليب، وخطاطيف، وحسك، كحسك السعدان، دونه جسر دحض مزلقة"، وهو يشعر بالتفريق بين الجسر والصراط، والأحاديث الصحيحة السابقة تدل على أنهما واحد"ا.هــ.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩).

وحديث أبي هريرة (ﷺ)، وفيه: أن النبي (ﷺ) قال: "فيأتيهم الله، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم، فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته"(١).

والذي يظهر أن نصب الصراط يكون حين موافاة الناس إلى جهنم، وأنه قبل لا يكون منصوبا عليها، وقد مر ذكر هذا بأدلته، وهو ظاهر حديث أبي سعيد الخدري (ﷺ)، ففيه: "ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم"(٢).

قال أبو إسحاق الحربي: (الجسر، والجسر: ما عبر عليه من قنطرة، ونحوها)(٣).

ومر معنا أيضا إجماع أهل السنة والجماعة على إثبات الصراط، وأنه جسر منصوب على ظهراني جهنم، وسبق ذكر كثير من أقوالهم، بما يغني عن إعادته هنا.

وقد نقل عن بعض الجهمية إنكار الصراط أصلا، يقول الملطي عنهم: (ومنهم: صنف... أنكروا الصراط أن يكون الله (ﷻ) يجيز على الصراط أحدا)(٤).

وتأول جمهور الإباضية وبعض المعتزلة الصراط بأنه صراط معنوي، لا حسي، فقالت الإباضية: إن الصراط (قصد به طريق الإسلام، ودين الله

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص (١٣٠ - ١٣١)، رقم: (٨٠٦).

(٢) الحديث متفق عليه، وهذه رواية البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩).

(٣) غريب الحديث لأبي إسحاق إبراهيم الحربي (٣/١).

(٤) انظر: التنبيه والرد للملطي ص (٩٨).

القيم)[١]، وقالت المعتزلة: صراط الجنة: أدلة الطاعة التي من عمل بها أدخلته الجنة، وصراط النار: أدلة النهي عن المعصية التي من عمل بها أفضت به إلى النار.

يقول القاضي عبد الجبار: (قد حكي في الكتاب عن كثير من مشايخنا: أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات؛ التي من تمسك بها نجا، وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي؛ التي من ركبها هلك واستحق من الله – تعالى – النار.

وذلك مما لا وجه له، لأن فيه حملا لكلام الله تعالى على ما ليس يقتضيه ظاهره، وقد كررنا القول في أن كلام الله – تعالى – مهما أمكن حمله على حقيقته فذلك هو الواجب، دون أن يصرف عنه إلى المجاز.

وعلى أنا لا نعرف من الأصحاب من ذكر ذلك إلا شيئا يحكى عن عباد: أن الصراط إنما هو الأدلة الدالة على وجوب هذه الواجبات والتمسك بها، وقبح هذه المقبحات، والاجتناب منها، والفائدة في أن جعل الله – تعالى – إلى دار الجنة طريقا حاله ما ذكرنا هو لكي يتعجل به للمؤمن مسرة، وللكافر غما، وليضمنه اللطف في المصلحة، على ما سبق في نظائره)[٢].

ويقول السفاريني في حكاية هذه الأقوال والرد عليها: (اتفقت الكلمة على إثبات الصراط في الجملة، لكن أهل الحق يثبتونه على ظاهره من كونه جسرا ممدودا على متن جهنم، أحد من السيف، وأدق من الشعر، وأنكر هذا الظاهر القاضي عبد الجبار المعتزلي، وكثير من أتباعه، زعما منهم أنه لا يمكن عبوره، وإن أمكن ففيه تعذيب، ولا عذاب على المؤمنين والصلحاء يوم القيامة،

---

(١) انظر: الإباضية في ميزان أهل السنة ص (٢٤).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٣٨).

وإنما المراد طريق الجنة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: ٥]، وطريق النار المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٣]، ومنهم من حمله على الأدلة الواضحة، والمباحات، والأعمال الرديئة؛ ليسأل عنها، ويؤاخذ بها.

وكل هذا باطل وخرافات... والحق: أن الصــراط وردت به الأخبار الصحيحة، وهو محمول على ظاهرها، بغير تأويل، كما ثبت في الصحيحين، والمسانيد، والسنن، والصحاح؛ مما لا يحصى إلا بكلفة، من: أنه جسر مضروب على متن جهنم، يمر عليه جميع الخلائق، وهم في جوازه متفاوتون)[١].

الصفة الثانية: أن الصراط المنصوب على ظهر جهنم أدق من الشعر، وأحد من السيف:

يدل لهذه الصفة ما يأتي:

أولا: قول أبي سعيد الخدري (ﷺ): بلغني أن الجسر أدق من الشعر، وأحد من السيف[٢].

وَ **(قول أبي سعيد:** "بلغني" له حكم المرفوع؛ إذ مثله لا يقال من قبل الرأي)[٣].

---

(١) لوامع الأنوار (١٩٢/٢ - ١٩٣).

(٢) ذكره الإمام مسلم في صحيحه ص (٩٦)، بعد حديث أبي سعيد الخدري (ﷺ) رقم: (٤٥٥).

(٣) تخريج أحاديث الإحياء (٢٦٣/١ - ٢٦٤).

ثانيا: قول ابن مسعود (رضي الله عنه)، وفيه: "يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف"[١].

ثالثا: قول سلمان الفارسي (رضي الله عنه): "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟، فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟، فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك "[٢].

وهذا مما لا مجال للرأي فيه، فله حكم المرفوع، يقول الألباني بعد أن ذكر أثر سلمان (رضي الله عنه): (له حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي)[٣].

وقد أنكر معظم المعتزلة، وبعض أهل العلم كالعز بن عبد السلام، والقرافي[٤]: أن يكون الصراط طريقا أدق من الشعر، وأحد من السيف[٥].

يقول القرافي: (الصحيح : أنه عريض، وقيل: طريقان: يمنى، ويسرى، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين، وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم)[٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٦٢٩/٤)، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٤١)، وقال: "إسناده صحيح، وله حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي".

(٣) السلسلة الصحيحة (٦١٩/٢)، رقم: (٩٤١).

(٤) يقول السفاريني في لوامع الأنوار (١٩٣/٢): "أنكر العلامة القرافي كون الصراط أدق من الشعر، وأحد من السيف، وسبقه إلى ذلك شيخه العز بن عبدالسلام".

(٥) انظر: التذكرة للقرطبي (٧٥٧/٢ – ٧٥٨).

(٦) نقله عنه السفاريني في لوامع الأنوار (١٩٣/٢).

وقال المعتزلة: إنه طريق يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار، إذا أرادوا المرور عليه، يقول القاضي عبدالجبار: (ومن جملة ما يجب الاقرار به، واعتقاده: الصــراط، وهو: طريق بين الجنة والنار، يتسع على أهل الجنة، ويضيق على أهل النار؛ إذا راموا المرور عليه)[1].

ومن أدلة من أنكر صفة الصراط هذه ما يأتي:

الدليل الأول: أن العبور على الصــراط من التكليــف، ولا تكليــف فــي الآخرة، يقول القاضي عبد الجبار: (لسنا نقول في الصراط ما يقوله الحــشوية من: أن ذلك أدق من الشعر، وأحد من السيف، وأن المكلفين يكلفــون اجتيــازه والمرور به؛ فمن اجتازه فهو من أهل الجنة، ومن لم يمكنه ذلك فهو من أهــل النار، فإن تلك الدار ليست هي بدار تكليف حتى يصح إيلام المؤمن، وتكليفــه المرور على ما هذا سبيله في الدقة والحدة)[2].

ويرد عليهم بأمرين:

أولا: أن الإيلام ورد في الآخرة للمؤمنين، فوقوفهم في الموقف مدة طويلة، وبلوغ العرق إلى أن يلجمهم... كله فيه إيلام، بل إن بعض المؤمنين يسقط في النار، وهو أشد قطعا.

ثانيا: أن النصوص أثبتت أن التكليف لاينقطع إلا بدخول الجنة والنار، إذ فيهما الجزاء، أما قبل الجنة والنار فمحل عمــل وتكليــف، أو آثــار العمــل والتكليف.

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٧٣٧).

(٢) السابق (٧٣٧ – ٧٣٨).

فمن ذلك السجود لله (ﷻ) عندما يكشف عن ساق، يقول الحافظ ابن حجر: (قال الخطابي: هذه الرؤية غير التي تقع في الجنة إكراما لهم، فإن هذه للامتحان، وتلك لزيادة الإكرام، كما فسرت به الحسنى وزيادة.

قال: ولا إشكال في حصول الامتحان في الموقف؛ لأن آثار التكاليف لا تنقطع إلا بعد الاستقرار في الجنة أو النار...

وقال الطيبي: لا يلزم من أن الدنيا دار بلاء والآخرة دار جزاء أن لا يقع في واحدة منهما ما يخص بالأخرى، فإن القبر أول منازل الآخرة، وفيه الابتلاء والفتنة بالسؤال، وغيره.

والتحقيق: أن التكليف خاص بالدنيا، وما يقع في القبر وفي الموقف هي آثار ذلك)(١).

الدليل الثاني: أن الصراط هو الطريق الواضح الواسع، فلا يصح وصفه بأنه أدق من الشعر، وأحد من السيف.

يقول القاضي عبد الجبار في سياق كلامه المتقدم قريبا: (وأيضا فقد ذكرنا أن الصراط هو الطريق، وما وصفوه ليس من الطريق بسبيل، ففسد كلامهم فيه)(٢).

ويرد عليهم بأن مدار النفي والإثبات على ثبوت النقل، فما جاء في الكتاب، وما ثبت من صحيح السنة؛ وجب قبوله، ولا يعمل فيه عقل، ويرد بمثل هذه الأمور، يوضحه: أن أكثر المعتزلة يقولون: إن الصراط يضيق على الكفار إذا أرادوا المرور عليه، وإنما يضيق بذنوبهم؛ وهو من تعجيل بعض عقوبتهم، فَلِمَ

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤٦٠/١١).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٧٣٧ – ٧٣٨).

لا يضيق على أهل الإيمان ببعض ذنوبهم، عقابا، وتكفيرا لهم، أو رفعة في درجاتهم.

الدليل الثالث: أنه لا يمكن العبور على الصراط الذي من صفته: أنه: أدق من الشعر، وأحد من السيف، وهو دحض مزلة، وأن الملائكة تصف بجنبيته، وأن حواليه كلاليب وحسك، وأن الرسل والرحم والأمانة تقف عليه، وأن الأمم تمر عليه[1].

يقول أبو الحسن الأشعري: (وقال قائلون هو: الطريق، وليس كما وصفوه بأنه أحد من السيف، وأدق من الشعرة، ولو كان كذلك لاستحال المشي عليه)[2].

ويجاب على ذلك بما ذكره القرطبي: (ما ذكره القائل مردود بما ذكرنا من الأخبار، وأن الإيمان يجب بذلك، وأن القادر على إمساك الطير في الهواء قادر على أن يمسك عليه المؤمن، فيجريه، أو يمشيه، ولا يعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا عند الاستحالة، ولا استحالة في ذلك؛ للآثار الواردة في ذلك وثباتها بنقل الأئمة العدول ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠])[3].

ويقول الشاطبي: (إن الصراط ثابت، والجواز عليه قد أخبر الشارع به، فنحن نصدق به؛ لأنه إن كان كحد السيف، وشبهه لا يمكن استقرار الإنسان فوقه عادة فكيف يمشي عليه؟ فالعادة قد تخرق حتى يمكن المشي والاستقرار، والذين ينكرونه يقفون مع العوائد، وينكرون أصل الصراط، ولا يلتفتون إلى إمكان انخراق العوائد، فإن فرقوا صار ذلك تحكما، لأنه ترجيح في أحد المثلين

(١) انظر: لوامع الأنوار (٢/١٩٢).

(٢) مقالات الإسلاميين للأشعري (٢/١٦٤).

(٣) التذكرة ص (٢/٧٥٨)، وانظر: لوامع الأنوار (٢/١٩٤).

دون الآخر من غير مرجح عقلي، وقد صادفهم النقل، فالحق الإقرار دون الإنكار)[١].

الدليل الرابع: أن رواية أنه: أدق من الشعرة، وأحد من السيف، غير ثابتة، يقول السفاريني: (قال القرافي تبعا للحافظ البيهقي[٢]: كون الصراط أدق من الشعر، وأحد من السيف؛ لم أجده في الروايات الصحيحة، وإنما يروى عن بعض الصحابة، فيؤول بأن أمره أدق من الشعر)[٣].

ويرد عليهم بعدة ردود، منها:

أولا: أن هذه الزيادة عند أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قد أخرجها مسلم في صحيحه، وتلقتها الأمة بالقبول.

ثانيا: أن هذه الزيادة وإن كانت من قول أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) فإن لها حكم الرفع، لأنها مما ليس للعقل فيه مجال.

ثالثا: أن كون الصراط أحد من السيف وأدق من الشعر قد وردت هذه الصفة عن غير أبي سعيد (رضي الله عنه)، كما في حديث ابن مسعود (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف، دحض مزلة"[٤]، وفي رواية: "يوضع الصراط على سواء جهنم، مثل حد السيف المرهف"[٥].

---

(١) الاعتصام (٨٤١/٢)، وانظر: المواقف للإيجي (٥٢٥/٣) وَ (٥٢٣/٣).

(٢) يقول البيهقي في شعب الإيمان (٥٦٥/١): (هذا اللفظ من الحديث لم أجده في الروايات الصحيحة)، وانظر: التذكرة للقرطبي ص (٧٥٨/٢).

(٣) لوامع الأنوار (١٩٣/٢).

(٤) الحاكم في المستدرك (٤٠٨/٢)، وقال: "حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه بهذا اللفظ"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريجه لأحاديث الطحاوية ص (٥٦٢).

(٥) سبق تخريجه.

وكما في قول سلمان الفارسي (رضي الله عنه): "يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السموات والأرض لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟، فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتقول الملائكة: من تجيز على هذا؟، فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك"[1].

وهذا يؤيد ما جاء عن أبي سعيد (رضي الله عنه)، وهو مما لا مجال للرأي فيه، فللجميع حكم المرفوع، يقول الألباني بعد أن ذكر أثر سلمان (رضي الله عنه): **(**له حكم المرفوع، لأنه لا يقال من قبل الرأي**)**[2].

يقول السفاريني: **(**قد أخرج مسلم تلك الزيادة في صحيحه عن أبي سعيد بلاغا، وليس مما للرأي والاجتهاد فيه مجال، فهي مرفوعة، وقد مر من الأخبار ما يوجب الإيمان بذلك**)**[3].

ويقول النووي: (أصحابنا المتكلمون وغيرهم من السلف يقولون: إن الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف كما ذكره أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه)، هنا في روايته الأخرى المذكورة في الكتاب، والله – تعالى – أعلم**)**[4].

الدليل الخامس: قالوا: إن معنى قوله: "أدق من الشعر": معناه: أن الإنسان يمر على الصراط بحسب طاعته ومعصيته، فيكون يسيرا على أهل الطاعة، عسيرا على أهل المعصية، وهذا مما يخفى إلا على الله (عز وجل)، فمعنى: "أدق من الشعر": أي: أخفى من الشعر، وجرت العادة أن الخفي يسمى دقيقا.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) السلسلة الصحيحة (٦١٩/٢)، رقم: (٩٤١).

(٣) لوامع الأنوار (١٩٤/٢).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٣).

ومعنى قوله: "أحد من السيف": أي: أن الأمر الدقيق من الله إلى الملائكة بمرور الناس على الصراط ينفذ إليهم أسرع من السيف الماضي لحدته، أو نسبة إلى سرعة مرور الناس على الصراط لطاعتهم.

يقول الحليمي: (قوله في الصراط: إنه أدق من الشعرة معناه: أن أمر الصراط والجواز عليه أدق من الشعر، أي: يكون يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله (ﷻ)؛ لخفائها، وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الخامض الخفي: دقيقا، وضرب المثل له بدقة الشعرة.

وقوله: "إنه أحد من السيف" فقد يكون معناه – والله أعلم –: أن الأمر الدقيق الذي يصدر من عند الله إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حد السيف ومضيه اسراعا منهم إلى طاعته، وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد)[1].

ويقول القرطبي: (ذهب بعض من تكلم عن أحاديث الباب في وصف الصـــراط بأنه أدق من الشعر، وأحد من السيف؛ أن ذلك راجع إلى يســـره وعســـره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله – تعالى – لخفائها، وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي: دقيقا، فضرب المثل له بدقة الشعر فهذا – والله أعلم – من هذا الباب، ومعنى قوله: وأحد من السيف: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله – تعالى – إلى الملائكة في إجازة الناس على الصـــراط يكون في إنفاذ حد السيف، ومضيه إسراعا منهم

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٥٦٥/١)، وقال البيهقي عقبه: " وهذا اللفظ من الحديث لم أجده في الروايات الصحيحة ".

إلى طاعته، وامتثاله، ولا يكون له مرد، كما أن السيف إذا نفذ بحده وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مرد)[١].

الصفة الثالثة: أن الصراط المنصوب على ظهر جهنم دحض مزلة، فهو موضع زلل، تزل فيه الأقدام، ولا تستقر عليه، كما جاء صريحا في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

ويقول القاضي عياض: (قوله: فى صفته: "دحض، مزلة": أى: زلق، تزل فيه الأقدام)[٢].

ويقول النووي: (قوله: قيل يا رسول الله! وما الجسر؟ قال: "دحض، مزلة": هو: بتنوين دحض، وداله مفتوحة، والحاء ساكنة، ومزلة بفتح الميم، وفي الزاي لغتان مشهورتان: الفتح، والكسر، والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو: الموضع الذي تزل فيه الأقدام، ولا تستقر، ومنه: دحضت الشمس، أى: مالت، وحجة داحضة: لاثبات لها)[٣].

ويقول ابن حجر: (قوله: قال: "مدحضة، مزلة" بفتح الميم، وكسر الزاي، ويجوز فتحها، وتشديد اللام، قال: أي: موضع الزلل، ويقال: بالكسر في المكان، وبالفتح في المقال)[٤].

الصفة الرابعة: أن للصراط المنصوب على ظهر جهنم حافتين، وجنبتين:

---

(١) التذكرة ص (٧٥٨)، وانظر شعب الإيمان للبيهقي (٥٦٥/١).

(٢) إكمال المعلم (٥٥١/١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧/٣)، وانظر: غريب الحديث للخطابي (٢٤٧/٢).

(٤) فتح الباري (٤٣٨/١٣)، وانظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (١٣٥/٣)، والنهاية في غريب الحديث ص (٣٩٧).

جاء هذا صريحا في حديث أبي هريرة (ﷺ)، وفيه: أن رسول (ﷺ) قال: " وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة تأخذ من أمرت به "[١].

وفي حديث أبي بكرة (ﷺ) **أن رسول الله** (ﷺ) **قال:** "يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار"[٢].

يقول المارزي: (جنبتاه: ناحيتاه، يقال: جنبتا الوادي، وجانباه، وضفتاه، وناحيتاه)[٣].

ويقول البغوي: ("جنبتا الصراط ": ناحيتاه)[٤].

الصفة الخامسة: أن لحافتي الصراط المنصوب على ظهر جهنم كلاليب، وحسك، وخطاطيف، تخطف الناس من على الصراط بأعمالهم:

لحديث أبي هريرة (ﷺ) **أن النبي** (ﷺ) **قال:** "وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة تأخذ من أمرت به"[٥].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٨٣٧)، والطبراني في الصغير (١٤٢/٢)، وقال: "لا يروى عن أبي بكرة إلا بهذا الإسناد"، وأحمد في المسند (٩٠/٣٤)، رقم: (٢٠٤٤٠)، وقال محققوه: "إسناده حسن"، والبزار كما في البحر الزخار (١٣٩/٩)، وقال: "هذا الحديث لا نعلم أحدا يرويه عن رسول الله (ﷺ) غير أبي بكرة بهذا اللفظ، وإسناد هذا الحديث كلهم بصريون"، وقال الهيثمي في المجمع (٣٥٩/١٠): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الصغير، والكبير بنحوه، ورواه البزار أيضا، ورجاله رجال الصحيح"، وصحح إسناده السيوطي في البدور السافرة ص (٣٤٢)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٨٣٧): "إسناده حسن، أو محتمل للتحسين".

(٣) المعلم (٢٣٠/١)، قاله في قوله (ﷺ): "فيقومان جنبتي الصراط"، وكذا قول البغوي بعد.

(٤) شرح السنة (١٨٠/١٥).

(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

وفي حديث أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ) قال: "وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم شوك السعدان؟ "قالوا: نعم، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله، ومنهم من يخردل، ثم ينجو"[(١)].

يقول النووي: (قوله (ﷺ): "وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان": أما الكلاليب: فجمع: كلوب – بفتح الكاف، وضم اللام المشددة –، وهو: حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور، قال صاحب المطالع: هي: خشبة في رأسها عقافة حديد، وقد تكون حديدا كلها، ويقال لها أيضا: كلاب.

وأما السعدان – فبفتح السين، وإسكان العين المهملة – وهو: نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب.

قوله (ﷺ): "تخطف الناس بأعمالهم": هو: بفتح الطاء، ويجوز كسرها، يقال: خطف، وخطف بكسر الطاء وفتحها، والكسر أفصح، ويجوز أن يكون معناه: تخطفهم بسبب أعمالهم، ويجوز أن يكون معناه: تخطفهم على قدر أعمالهم)[(٢)].

ويقول الحافظ ابن حجر: (قوله: "وبه كلاليب[(٣)]": الضمير للصراط، وفي رواية شعيب: "وفي جهنم كلاليب"، وفي رواية حذيفة وأبي هريرة معا: "وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة، مأمورة بأخذ من أمرت به"، وفي رواية سهيل: "وعليه كلاليب النار"، وكلاليب: جمع: كلوب بالتشديد...

---

(١) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص (١٣٠ – ١٣١)، رقم: (٨٠٦)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٢ – ٩٣)، رقم: (٤٥١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٣/٣).

(٣) هذه رواية للبخاري.

قوله: "مثل شوك السعدان" بالسين والعين المهملتين بلفظ التثنية، والسعدان: جمع: سعدانة، وهو: نبات ذو شوك، يضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان.

وقوله: "أما رأيتم شوك السعدان": هو استفهام تقرير؛ لاستحضار الصورة المذكورة.

قوله: "غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله": أي: الشوكة...

قوله: "فتخطف الناس بأعمالهم":... قال الزين بن المنير: تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها، وكثرة الانتشاب فيها، مع التحرز والتصون؛ تمثيلا لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة، ثم استثنى إشارة إلى أن التشبيه لم يقع في مقدارهما.

وفي رواية السدي: "وبحافتيه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس")[١].

وفي حديث أبي سعيد الخدري (ﭬ): "قلنا يا رسول الله! ما الجسر؟، قال: مدحضة مزلة، عليه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة، لها شوكة عقيفاء تكون بنجد، يقال لها: السعدان"[٢].

يقول النووي: (قوله (ﷺ): "فيه خطاطيف، وكلاليب، وحسك": أما الخطاطيف: فجمع: خطاف – بضم الخاء في المفرد –، والكلاليب بمعناه... وأما الحسك: فبفتح الحاء والسين المهملتين، وهو: شوك صلب من حديد)[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤٦١/١١ – ٤٦٢).

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٤ – ٩٥)، رقم: (٤٥٤).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٧/٣).

ويقول الحافظ ابن حجر: (قوله: "وحسكة" بفتح الحاء والسين المهملتين، قال صاحب التهذيب، وغيره: الحسك: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد، وهو من آلات الحرب.

وقوله: "مفلطحة" بضم الميم، وفتح الفاء، وسكون اللام، بعدها طاء ثم حاء مهملتان، كذا وقع عند الأكثر، وفي رواية الكشميهني: "مطلفحة" بتقديم الطاء، وتأخير الفاء، واللام قبلها، ولبعضهم كالأول، لكن بتقديم الحاء على الطاء، والأول هو المعروف في اللغة، وهو: الذي فيه اتساع، وهو عريض، يقال: فلطح القرص: بسطه، وعرضه.

وقوله: "شوكة عقيفة" بالقاف، ثم الفاء، وزن: عظيمة، ولبعضهم: "عقيفاء " بصيغة التصغير ممدود)[١].

ويقول ابن الجوزي: (الخطاطيف واحدها: خطاف، وهي كالمحجن متعقفة، والخطف: أخذ الشيء بسرعة.

والكلاليب: جمع: كلاب، وكلوب، وهي: من جنس الخطاطيف.

الحسك: جمع: حسكة: وهي شوكة حديدة صلبة)[٢].

وتأول بعضهم هذه الكلاليب أنها الشهوات، فمن اقتحم الشهوات في الدنيا اقتحم في النار في الآخرة، يقول القاضي أبو بكر بن العربي: (هذه الكلاليب هي الشهوات المشار إليها في الحديث الماضي: "حفت النار بالشهوات"، قال: فالشهوات موضوعة على جوانبها، فمن اقتحم الشهوة سقط في النار، لأنها خطاطيفها)[٣].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٤٣٨/١٣).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١٣٥/٣ - ١٣٦).

(٣) نقله عنه ابن حجر في فتح الباري (٤٦١/١١).

وهذا إن كان المقصود أن ارتكاب المعاصي في الدنيا سبب في خطف الكلاليب، أو جرحها؛ فها لا نزاع فيه، وإلا فالأحاديث صريحة في أن هذه الكلاليب حقيقة، تخطف، وتخدش، وهي مأمورة بأخذ من أمرت به، والله أعلم.

الصفة السادسة: بعض أهل العلم يلحظ في الصراط معنى الاستواء، والاعتدال، فيكون الصراط: طريقا مستويا، معتدلا، منصوبا على جهنم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ("الصراط": في لغة العرب هو: الطريق، يقال: هو الطريق الواضح، ويقال: هو الطريق المحدود بجانبين؛ الذي لا يُخرج عنه، ومنه: الصراط المنصوب على جهنم، وهو الجسر الذي يَعبر عليه المؤمنون إلى الجنة، وإذا عبَر عليه الكفار سقطوا في جهنم، ويقال: فيه معنى الاستواء والاعتدال الذي يوجب سرعةَ العبور عليه، وفيه ثلاث لغات، هي ثلاث قراءات: الصراط، والسراط، والزراط، عربية عرباء، ليست من المعرب، ولا مأخوذة من لغة الروم، كما زعموا.

ويقال أصله من قولهم: سرطت الشيء أسرطه سرطا، إذا ابتلعته واسترطته ابتلعته، فإن المبتلع يجري بسرعة في مجرى محدود.

ومن أمثال العرب: لا تكن حلوا فتسترط، ولا مرا فتعفى، من قولهم: أعفيت الشيء، إذا أزلته من فيك لمرارته، ويقال: فلان يسترط ما يأخذ من الدين.

وحكى يعقوب بن السكيت: الأخذ سريط، والقضاء ضريط، والسرطاط: الفالوذج، لأنه يسترط استراطا، وسيف سراطي، أي: قاطع، فإنه ماض سريع المذهب في مضربه.

فالصراط: هو الطريق المحدود، المعتدل؛ الذي يصل سالكه إلى مطلبه بسرعة، وقد ذكر الله لفظ الصراط في كتابه في غير موضع، ولم يسم الله سبيل

الشيطان سراطا، بل سماها: سبلا، وخص طريقه باسم الصراط، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي السنن عن عبد الله بن مسعود قال: خط لنا رسول الله (ﷺ) خطا، وخط خطوطا عن يمينه، وشماله، ثم قال: " هذا سبيل الله، وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان، يدعو إليه، من أجابه قذفه في النار، ثم قرأ: ﴿**وَأَنَّ هَٰذَا** صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام: ١٥٣]"[(١)].

فسمى سبحانه طريقه: صراطا، وسمى تلك سبلا، ولم يسمها صراطا، كما سماها سبيلا، وطريقه يسميه سبيلا، كما يسميه صراطا)[(٢)].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٢٦١/٢)، وقال: "صحيح الإسناد، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وابن ماجه، المقدمة، ص (٢)، رقم: (١١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٧٨/٣ - ١٨٠).

المبحث السابع
حال الناس قبل الصراط، ومجمل ما يحدث على الصراط

حال الناس قبل الصراط، ومجمل ما يحدث على الصراط؛ لعله تبينه الأمور الآتية:

أولا: يحشر الناس كلهم في مكان مظلم دون الجسر، وتستمر معهم الظلمة حتى البدء في العبور على الصراط:

مما يدل على أن الناس في ظلمة دون الجسر: حديث ثوبان مولى رسول الله (ﷺ) قال: كنت قائما عند رسول الله (ﷺ)، فجاء حبر من أحبار اليهود، فقال: السلام عليك يا محمد !... فقال اليهودي: أين يكون الناس ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]؟، فقال رسول الله (ﷺ): "هم في الظلمة دون الجسر"[١]، وَ (الجسر: هو الصراط)[٢].

ويدل على استمرار الظلمة حتى البدء في عبور الصراط: حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت: سئل رسول الله (ﷺ) عن قوله (ﷻ): ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فأين يكون الناس يومئذ؟، قال: "على

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة، ص (١٤١ – ١٤٢)، رقم: (٧١٦).

(٢) شعب الإيمان (١/٥٥٥).

الصراط "[(١)]، وفي رواية: "هم على جسر جهنم"[(٢)]، وفي رواية: "على جسر جهنم"[(٣)].

وحديث ابن مسعود (ﷺ)، وفيه: " فيعطون نورهم على قدر أعمالهم"[(٤)].

فهذان الحديثان يدلان على أن الناس كانوا في ظلمة، وتستمر معهم، حتى إذا أرادوا عبور الصراط أعطوا نورا على قدر أعمالهم.

وقد أشار ابن القيم إلى هذا في قوله: (صح عنه (ﷺ) أنه سئل: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض؟، فقال: "على الصراط"، وفي لفظ آخر: "هم في الظلمة، دون الجسر"، فسئل: من أول الناس إجازة؟، فقال: "فقراء المهاجرين" ذكره مسلم، ولا تنافي بين الجوابين، فإن الظلمة أول الصراط، فهناك مبدأ التبديل، وتمامه وهم على الصراط)[(٥)].

ويقول ابن رجب: (في صحيح مسلم: عن مسروق، عن عائشة، أنها سألت النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: "على الصراط".

وفيه أيضا: عن ثوبان، أن حبرا من اليهود سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ قال: "هم في

---

(١) رواه مسلم، كتاب صفات المنافقين، باب في البعث والنشور، وصفة الأرض يوم القيامة، ص (١٢١٦)، رقم: (٧٠٥٦).

(٢) أحمد في المسند (٣٤٩/٤١ - ٣٥٠)، رقم: (٢٤٨٥٦)، وقال محققوه: "إسناده صحيح".

(٣) الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة الزمر، ص (٧٣٧)، رقم: (٣٢٤١)، وقال: "حسن، صحيح، غريب من هذا الوجه".

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) إعلام الموقعين (٢٠٦/٤).

الظلمة، دون الجسر"، قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال: "فقراء المهاجرين"، وذكر الحديث.

ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الظلمة دون الجسر حكمها حكم الجسر، وفيها تقسيم الأنوار للجواز على الجسر، فقد يقع تبديل الأرض والسموات وطي السماء من حين وقوع الناس في الظلمة، ويمتد ذلك إلى حال المرور على الصراط، والله أعلم)(١).

ثانيا: بعد هذا يميز الله (ﷻ) أهل عبادته في الظاهر ولو كان منافقا عن أهل الإشراك، فيؤذن مؤذن يرفع بها صوته ليسمع أهل الموقف كلهم(٢)، فيقول: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله (ﷻ)، فلا يبقى أحد يعبد شيئا من دون الله (ﷻ) إلا اتبعه حتى يسقط به في النار، فمن كان يعبد الشمس مثلت له فيتبعها حتى تسقط به في النار، ومن كان يعبد القمر، والأصنام، والأنصاب، وكل الطواغيت؛ كذلك.

لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "يجمع الله الناس فيقول: من كان يعبد شيئا فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت".

وفي لفظ: "يجمع الناس يوم القيامة في صعيد واحد، ثم يطلع عليهم رب العالمين، ثم يقال: ألا تتبع كل أمة ما كانوا يعبدون، فيتمثل لصاحب الصليب

(١) التخويف من النار ص (٢٣٥).

(٢) يقول القرطبي في المفهم (١/٤٤٤): (قوله: "أذن مؤذن"، أي: نادى مناد برفيع صوته؛ كي يعلم أهل الموقف).

صليبه، ولصاحب الصور صوره، ولصاحب النار ناره، فيتبعون ما كانوا يعبدون"[١].

ولحديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار".

ويدخل في هؤلاء من أشرك من أهل الكتاب، من: اليهود، والنصارى، يدل له حديث أبي سعيد (رضي الله عنه) المتقدم آنفا، وفيه: "يدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد، فماذا تبغون؟، قالوا: عطشنا، يا ربنا، فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار.

ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟، قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم، كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة، ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا، يا ربنا، فاسقنا، قال: فيشار إليهم ألا تردون[٢]؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار".

---

(١) أحمد في المسند (٤١٣/١٤)، رقم: (٨٨١٧)، وقال محققوه: "حديث صحيح، وله إسنادان: الأول: إسناد هيثم بن خارجة، وهو صحيح، والثاني: إسناد قتيبة بن سعيد، وهو قوي من أجل عبد العزيز – وهو: ابن محمد الدراوردي –، وكلا رجال الإسنادين رجال الصحيح"، والترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة، وأهل النار، ص (٥٨١)، رقم: (٢٥٥٧)، وقال: "حسن، صحيح".

(٢) **فائدة:** يقول القرطبي في المفهم (٤٤٥/١ – ٤٤٦): (قوله: "فيشار إليهم ألا تردون؟"، لما ظنوا أنه ماء أُسْمِعوا بحسب ما ظنوا، فإن الورود إنما يقال لمن قصد إلى الماء ليشرب).

وظاهر هذه الأحاديث – والله أعلم – أن جميع الكفار لا يجاوزون شيئا من الصراط، ولا يعبرون عليه البتة، بل يسقطون في النار، دون المرور على شيء من الصراط، فهم تتمثل لهم معبوداتهم من دون الله (ﷻ)، فيتبعونها، فتسقط بهم في النار.

وقد قال بعض أهل العلم: إن الكفار يعبرون الصراط أولا، ثم يسقطون في النار.

قالوا: ويشير لهذا قوله تعالى: ﴿ **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يس: ٥٩]، فلعل الامتياز يكون في ذلك الوقت.

قالوا: ويشير لذا أيضا: الآيات التي فيها أن الكفار يُلْقَوْنَ في النار، والإلقاء إنما يكون من علو إلى سفل، فلعله يكون من الصراط، قالوا: ويحتمل أن يكون في الجسر فرجات يسقطون منها.

يقول البيهقي: (قال بعض العلماء: إن الكفار لا يجاوزون على الصراط لأنهم في معدن النار، فإذ خلص المؤمنون وخلصوا على الصراط انفرد الكفار بمواقفهم، وصار مواقفهم من النار، قال غيرهم: إنهم يركبون الصراط، ثم قد تكون أبواب جهنم فروجا في الجسر كأبواب السطوح فهم يقذفون منها في جهنم؛ ليكون غمهم أشد وأفظع، وإلقاؤهم من الجسر أخوف وأهول، وفرح المؤمنين بالخلاص أكثر وأعظم، ولعل قول الله (ﷻ): ﴿ **وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ** ﴾ [يس: ٥٩] يكون في هذا الوقت.

وما في القرآن من قول الله (ﷻ): ﴿ **كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** ﴾ [الملك: ٨]، وقوله: ﴿ **أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ** ﴾ [ق: ٢٤] كالدليل على

هذا لأن الإلقاء في الشيء أكثر ما يستعمل في الطرح من علو إلى سفل، والله أعلم بكيفية ذلك)[1].

والذي يظهر – والله أعلم – أن الكافر لا يعبر الصراط، لأن عبور الصراط إنما يكون على قدر الأعمال الصالحة، والكافر لا عمل له حسن، أي: لا حسنات له يعبر بها الصراط، فلا يعبر الصراط.

أما الامتياز المذكور في الآيات فهو حاصل من أول الحشر، من حين قيامهم من قبورهم، ثم ما يتبع هذا من حشر، وحساب، وميزان، وأخذ للكتب... أما الإلقاء في الآيات فإن جهنم بعيدة القعر، فالحجر قد يسقط فيها سبعين خريفا حتى يبلغ قعرها، ثم سقوطهم فيها لا يكون باختيارهم، بل بأعمالهم، فسقوطهم إلقاء لهم.

ثم خير ما يفسر به القرآن قول النبي (ﷺ)، وقد أخبر النبي (ﷺ) أنهم يتساقطون في النار، والله أعلم.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الصراط لا ينصب إلا بعد سقوط الكفار في جهنم، وإعطاء المؤمنين والمنافقين نورهم.

يقول ابن رجب في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه): (هذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب فإنه يلحق بالمشـــركين في الوقوع في النار قبل نصب الصــــراط؛ لأن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا فترد النار مع معبودها أولا، وقد دل القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ

(١) شعب الإيمان (٥٦٧/١).

ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ [هود: ٩٨]، وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل المنتسبين إلى الأنبياء، ثم يردون في النار بعد ذلك... ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقا، أو منافقا، من هذه الأمة، وغيره، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود، وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين)[١].

ويقول ابن رجب: (اعلم أن الناس منقسمون إلى: مؤمن يعبد الله وحده، لا يشـــرك به شيئا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصـــراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصـــراط)[٢].

وقريب منه قول الحافظ ابن حجر: (أنهم إذا حشروا وقع ما في حديث الباب من تساقط الكفار في النار، ويبقى ما عداهم في كرب فيستشفعون فيقع الإذن بنصب الصـــراط، فيقع الامتحان بالسجود ليتميز المنافق من المؤمن، ثم يجوزون على الصـــراط)[٣].

---

(١) التخويف من النار ص (٢٣٧ – ٢٣٨).

(٢) التخويف من النار ص (٢٣٥)، ويقول ابن القيم في تحفة المودود: "فإذا جاوز المؤمنون الصراط ولا يجوزه إلا مؤمن أمنوا من دخول النار فيحبسون هناك على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في دار الدنيا حتى إذا هذبوا أذن لهم في دخول الجنة"

ويقول ابن عثيمين شرح رياض الصالحين (٤٧٠/١): "الصراط لا يمر عليه إلا المؤمنون فقط، أما الكافرون فانهم لا يمرون عليه، وذلك أنهم يساقون في عر صات القيامة إلى النار مباشرة".

(٣) فتح الباري (٤٦٠/١١).

وبعد هذا التمييز من الله (ﷻ) لا يبقى دون الصراط إلا من كان يعبد الله (ﷻ) ولو في الظاهر من بر وفاجر، من هذه الأمة والأمم السابقة، وتزيد هذه الأمة بوجود منافقيها فيها؛ لحديث أبي سعيد الخدري (ﷺ)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله، من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب".

ولحديث أبي هريرة (ﷺ)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "وتبقى هذه الأمة، فيها منافقوها".

ثالثا: بعد تمييز الله (ﷻ) لأهل العبادة ولو في الظاهر عن أهل الشرك يحصل تمييز آخر لأهل الإخلاص عن أهل النفاق، وتمييز الله (ﷻ) أهل الإخلاص عن أهل النفاق في ذلك الموطن يكون بأمرين في موضعين:

الموضع الأول: يكون قبل المرور على الصراط، ويكون بأمر الله (ﷻ) لمن بقي بالسجود له حين يكشف عن ساقه لهم، فمن كان مخلصا موحدا سجد لله (ﷻ) في ذلك الموطن كما كان يسجد له في الدنيا، ومن كان يسجد نفاقا جعل الله (ﷻ) ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه؛ لحديث أبي سعيد الخدري (ﷺ)، وفيه: "حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين (ﷻ) في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا مرتين أو ثلاثا، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون

رءوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا"[١].

"ثم يضرب الجسر على جهنم "[٢]، وقد مرت صفته، وما عليه من كلاليب، وخطاطيف، وحسك، ثم يتبعون الله (ﷻ) ويؤمرون بالعبور على الصراط.

ويحتمل أنهم يتبعون الله (ﷻ)، ثم يضرب الصراط على متن جهنم، ثم يؤمرون بالعبور على الصراط.

لحديث جابر (رضي الله عنه): "فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب، وحسك تأخذ من شاء الله - تعالى -، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون"[٣].

ثم يحصل التمييز الثاني لأهل الإخلاص عن أهل النفاق بالنور الذي يعطيه الله (ﷻ) لهم، وهو:

الموضع الثاني: قبل المرور على الصراط يعطي الله (ﷻ) كل أحد من المؤمنين والمنافقين نورا كلا بحسب عمله، ولم أر في الأدلة التصريح بتفاوت نور المنافقين، أما نور المؤمنين فإنه يتفاوت تفاوتا عظيما.

يدل لذا حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) وفيه: "فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى بين يديه، ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نورا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نورا أصغر من ذلك، حتى يكون رجلا يعطى نوره على إبهام قدمه، يضئ مرة، ويطفئ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه فمشى، وإذا أطفئ قام"[٤].

---

(١) هذا نص حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

(٢) هذا نص حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه).

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (٩٩)، رقم: (٤٦٩).

(٤) تقدم تخريجه.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن المنافقين لا يعطون نورا، وهو غير صحيح؛ لمعارضته لصريح الأدلة، يقول ابن رجب: (قد اختلف السلف: هل يقسم للمنافين نور مع المؤمنين ثم يطفأ، أو لا يقسم له نور بالكلية، على قولين: فقال أحدهما: إنه لا يقسم له نور بالكلية.

قال صفوان بن عمرو: حدثني سليم بن عامر، سمع أبا أمامة يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة – يعني: يوم القيامة –، ثم يقسم النور، فيعطى المؤمن نورا، ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئا، وهو المثل الذي ضربه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿ **أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ** ﴾ [النور: ٤٠]، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر البصير، و ﴿ **يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا** ﴾ [الحديد: ١٣]، قال: وهي خدعة الله خدع بها المنافقين، قال عز جلاله: ﴿ **يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٢]، فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور، فلا يجدون شيئا، فينصرفون إليهم ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ** ﴾ [الحديد: ١٣] إلى قوله: ﴿ **وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ** ﴾ [الحديد: ١٥]، قال سليم: فلا يزال المنافق مغترا، حتى يقسم النور، ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق، خرجه ابن أبي حاتم.

وخرج أيضا من رواية مقاتل بن حيان، والضحاك، عن ابن عباس ما يدل على مثل هذا القول أيضا، ولكنه منقطع.

والقول الثاني: أنه يقسم للمنافين النور مع المؤمنين، كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا، ثم يطفأ نور المنافقين إذ بلغ السور، قاله مجاهد.

وروى عتبة بن يقظان، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورا يوم القيامة، فأما المنافقين فيطفأ نوره، فالمؤمن يشفق مما يرى من إطفاء نور المنافق فهم: ﴿**يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا**﴾ [التحريم: ٨]، وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه، وكذا روى جويبر عن الضحاك.

وسنذكر في الباب الآتي إن شاء الله، من حديث جابر، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ ما يدل على صحة هذا القول)[١].

ويذكر ابن القيم أن الفرق بين نور أهل الإيمان ونور المنافقين: أن نور أهل الإيمان يكون ظاهرا وباطنا، ونور المنافقين يكون ظاهرا لا باطنا، كما كانوا في الدنيا في الإيمان.

وأن نور المؤمنين يستمر لأنه يستمد ظاهر نوره من إيمانه باطنا، أما المنافق فليس له إيمان في الباطن يستمد منه النور الظاهر فلا يستمر معه النور.

يقول ابن القيم: (قسمه الأنوار في الظلمة دون الجسر: فإن العبد يعطى من النور هناك بحسب قوة نور إيمانه ويقينه وإخلاصه ومتابعته للرسول في دار الدنيا: فمنهم: من يكون نوره كالشمس، ودون ذلك كالقمر، ودونه كأشد

(١) التخويف من النار ص (٢٣٨ – ٢٣٩).

كوكب في السماء إضاءة، ومنهم: من يكون نوره كالسراج في قوته وضعفه، وما بين ذلك، ومنهم: من يعطى نور على إبهام قدمه، يضئ مرة، ويطفي أخرى؛ بحسب ما كان معه من نور الإيمان في دار الدنيا، فهو هذا النور بعينه أبرزه الله لعبده في الآخرة ظاهرا يرى عيانا بالأبصار، ولا يستضيء به غيره، ولا يمشي أحدا إلا في نور نفسه إن كان له نور مشى في نوره، وإن لم يكن له نور أصلا لم ينفعه نور غيره.

ولما كان المنافق في الدنيا قد حصل له نور ظاهر غير مستمر، ولا متصل بباطنه، ولا له مادة من الإيمان؛ أعطي في الآخرة نورا ظاهرا لا مادة له، ثم يطفأ عنه أحوج ما كان إليه)[١].

ثم بعد هذا التمييز الثاني لأهل الإيمان عن أهل النفاق يؤمر المؤمنون والمنافقون بالعبور على الصراط، ويكون عبورهم عليه بحسب أعمالهم؛ التي دل عليها النور الذي أعطاهم الله (ﷻ) إياه.

رابعا: المنافقون لا يجوزون الصراط قطعا، بل يطفأ نورهم، ثم يسقطون في النار؛ لحديث جابر (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "فينطلق بهم ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نورا، ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب، وحسك تأخذ من شاء الله – تعالى –، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون"[٢]، أي: ويسقط المنافقون في النار.

وقد أوضح الله (ﷻ) حال المنافقين عند العبور على الصـــراط في قوله (ﷻ): ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٨٦).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (٩٩)، رقم: (٤٦٩).

تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗاۖ فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [الحديد: ١٢ – ١٥].

ففي هذه الآيات يخبر الله (ﷻ) عن المؤمنين أنهم يسعى نورهم على الصراط بين أيديهم، وبأيمانهم، ويبشرهم الله بالجنان.

أما المنافقون فإنهم يعطون نورا فإذا أرادوا العبور به على الصراط طفئ نورهم، وفي هذا زيادة في العذاب، والحسرة، فإنهم لما أعطوا النور طمعوا في النجاة، فلما طفئ النور حصل لهم اليأس، واليأس بعد الرجاء أشد، والظلمة بعد النور أشد ظلمة، وهو أشد حسرة عليهم فإنهم يرون المؤمنين يستمر نورهم، ويعبرون الصراط إلى الجنان، ويبشرون برضوان الرحمن، وهم يطفأ نورهم، ويتساقطون في النار.

فإذا رأى المنافقون نور المؤمنين يمشون به وهم قد طفئ نورهم وبقوا في الظلمات حائرين، قالوا للمؤمنين: ﴿ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ ﴾، أي: أمهلونا وانتظرونا لنأخذ من نوركم ما نمشي به على الصراط، فننجو من العذاب، فيقال لهم: ﴿ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا ﴾، أي: ارجعوا إلى المكان الذي قسمت فيه الأنوار فالتمسوا نورا لكم، إن كان ذلك ممكنا، والحال أن ذلك غير ممكن، بل

هو من المحالات، ﴿فَضُرِبَ﴾ بين المؤمنين والمنافقين ﴿بِسُورٍ﴾، أي: حائط منيع، وحصن حصين، ﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾، وهــو الذي يلي المؤمنين، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ وهو الذي يلي المنافقين، فينادي المنافقون المؤمنين، فيقولون لهم تضرعا وترحما: ﴿أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ﴾ في الدنيا نقول: لا إله إلا الله، ونصلي، ونصوم، ونجاهد، ونعمل مثل عملكم؟، ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ كنتم معنا في الدنيا، وعملتم في الظاهر مثل عملنا، ولكن أعمالكم أعمال المنافقين، من غير إيمان ولا نية صادقة صالحة، بل ﴿فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ﴾، أي: شككتم في خبر الله الذي لا يقبل شكا، ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ﴾ الباطلة، حيث تمنيتم أن تنالوا منال المؤمنين، وأنتم غير موقنين، ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، أي: حتى جاءكم الموت وأنتم بتلك الحال الذميمة[1].

لكن هل يستمر نور المنافقين معهم فيعبرون شيئا من الصراط، أو معظمه، ثم يطفأ نورهم، ثم يسقطون في النار، أو يطفأ النور أول عبورهم، ثم يسقطون في النار؟، الأمر محتمل، ويمكن أن يقال: إن النفاق درجات آخرهم من يطفأ نوره ويسقط آخر الصراط؛ لقوله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، فيحتمل – والله أعلم – أن هذا السور إنما يضرب عند انتهاء الصراط، ويترك له باب يخلص منه المؤمنون إلى طريق الجنة، فذلك هو الرحمة التي في باطنه، وأما ظاهره فإنه يلي النار.

(١) هذا من كلام السعدي في تفسيره ص (٨٣٩)، بتصرف يسير.

يقول البيهقي: (أما المنافقون فالأشبه أنهم يركبون الجسر مع المؤمنين ليمشوا في نورهم فيظلم الله (ﷻ) على المنافقين، فيقولون للمؤمنين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: ١٣]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور على قدر إيمانهم، وأعمالهم، فلا يجدون شيئا، فينصرفون إليهم، وقد ضرب ﴿بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ﴾ [الحديد: ١٣ – ١٤]: نصلي بصلاتكم، ونغزو مغازيكم، ﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحديد: ١٤] إلى آخر الآية.

فيحتمل – والله أعلم – أن هذا السور إنما يضرب عند انتهاء الصراط، ويترك له باب يخلص منه المؤمنون إلى طريق الجنة، فذلك هو الرحمة التي في باطنه، وأما ظاهره فإنه يلي النار، وإن كانت النار سافلة عنه، لا محاذية إياه، فإذا لم يجد المنافقون إلى باطن السور سبيلا فليس إلا أن يقذفوا من أعلى الصراط، فيهوون منه إلى الدرك الأسفل من النار، هذا باستهزائهم بالمؤمنين في دار الدنيا)[1].

ويقول ابن أبي العز: (وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم)[2].

ويقول ابن القيم: (ولما أظهر المنافقون الإسلام وأسروا الكفر وأظهر الله تعالى لهم يوم القيامة نورا على الصراط، وأظهر لهم أنهم يجوزون الصراط،

---

(١) شعب الإيمان (١/٥٦٧).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز ص (٦٠٥).

وأسر لهم أن يطفئ نورهم، وأن يحال بينهم وبين الصراط من جنس أعمالهم)[1].

ويقول ابن القيم في المنافقين: (والمقصود أن هذه الطبقة أشقى الأشقياء، ولهذا يستهزأ بهم في الآخرة، وتعطى نورا يتوسطون به على الصراط، ثم يطفيء الله نورهم، ويقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣]، ويضرب بينهم وبين المؤمنين: ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣ – ١٤]، وهذا أشد ما يكون من الحسرة والبلاء: أن يفتح للعبد طريق النجاة والفلاح، حتى إذا ظن أنه ناج، ورأى منازل السعداء؛ اقتطع عنهم، وضربت عليه الشقوة، ونعوذ بالله من غضبه، وعقابه)[2].

وفي هذا – والله أعلم – أن من لا نور له لا يستطيع المشي على الصراط، يقول ابن القيم: (في قوله تعالى: ﴿تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨] نكتة بديعة، وهي: أنهم يمشون على الصراط بأنوارهم، كما يمشون بها بين الناس في الدنيا، ومن لا نور له فإنه لا يستطيع أن ينقل قدما عن قدم على الصراط، فلا يستطيع المشي أحوج ما يكون إليه)[3].

---

(١) الوابل الصيب ص (٣٦).

(٢) طريق الهجرتين ص (٤٠٣).

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص (٤٤).

خامساً: أما المؤمنون فإنهم يمشون على الصراط بحسب أعمالهم الصالحة، فتكون سرعة المؤمن على الصراط على حسب عمله؛ لحديث أبي هريرة ﷺ، وفيه: "تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب ! سلم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد"(١).

يقول القاضي عياض: (قوله: "تجرى بهم أعمالهم": يعني: أن سرعة مرهم على الصراط بقدر أعمالهم ومبادرتهم لطاعة ربهم، ألا تراه كيف قال: "حتى تعجز أعمال العباد"، وهذا كله من عدل الله – تعالى –، وإظهاره ذلك لعباده، وإلا فالكل برحمته، لا إله غيره)(٢).

ولحديث عبد الله بن مسعود (ﷺ) **قال:** قال رسول الله (ﷺ): "يرد الناس النار، ثم يصدرون عنها بأعمالهم: أولهم: كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْرِ الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل في مشيه"(٣).

ومن المؤمنين من يقصر به عمله فلا يجوز الصراط إلا زحفا، يدل له حديث أبي هريرة (ﷺ) مرفوعا: "حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا"(٤).

وآخر من يدخل الجنة من المؤمنين رجل يمشي على الصراط، ينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط، رأى أنه لم يعط أحد مثلما

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

(٢) إكمال المعلم (١/٥٨٥).

(٣) رواه الدارمي في مسنده (٢٨١٠)، والترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة مريم، ص (٧١٤)، رقم: (٣١٥٩)، وقال: "حسن"، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٢٦).

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

أعطي، كما في حديث عبد الله بن مسعود (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "إن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط، التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا من الأولين والآخرين"[1].

وآخر من يجوز الصراط من المؤمنين يسحب على الصراط سحبا، يدل له حديث أبي سعيد (ﷺ): "المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا"[2].

وقد دل مجموع الأدلة أن المؤمنين في المرور على الصراط ثلاثة أقسام: ناج مُسَلَّم يمر على الصراط فينجو من النار، ويسلم من الكلاليب فلا تمسه، ومخدوش مرسل، تخدشه الكلاليب على الصراط لكنه لا تسقطه في النار، بل ترسله فينجو من النار، ومخدوش مكردس ساقط في جهنم.

يدل له حديث أبي هريرة (ﷺ) مرفوعا: "فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبي أنت وأمي، أي شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر

---

(١) أحمد في المسند (٦/٢٥٣)، رقم: (٣٧١٤)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط مسلم"، وأبو يعلى (٥٢٩٠)، وقال محققه: "إسناده صحيح"، وابن خزيمة في التوحيد (٢/٧٥٥).

يقول السندي في حاشيته على المسند (١/٦٣٠ - ٦٣١): (قوله: "فينكب" - بتشديد الباء -، أي: يسقط على وجهه، "تسفعه" - بفتح حرف المضارعة، وإسكان السين المهملة، وفتح الفاء-: أي: تضرب وجهه، وتسوده، أو تؤثر فيه أثرا)ا.هـ.

(٢) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٤ - ٩٥)، رقم: (٤٥٤).

ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم، سلم، حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفا"، قال: "وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار"(١).

وفي حديث أبي هريرة (ﷺ): "ويضرب جسر جهنم"، قال رسول الله (ﷺ): "فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم! سلم، سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟ "قالوا: بلى يا رسول الله، قال: "فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجو"(٢).

وفي رواية: "فمنهم الموبق بقي بعمله – أو: الموثق بعمله –، ومنهم المخردل، أو: المجازى، أو نحوه"(٣).

وفي رواية: "فمنهم: الموبق بعمله، أو قال: الموثق بعمله، أو المخردل، ومنهم: المجازي، قال أبو كامل في حديثه: شك إبراهيم: ومنهم المخردل، أو المجازي"(٤).

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ص (١١٣٧)، رقم: (٦٥٧٣).

(٣) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، ص (١٢٧٩)، رقم: (٧٤٣٧).

(٤) أحمد في المسند (٣٠٣/١٣)، رقم: (٧٩٢٧)، وقال محققوه: "إسناده صحيح"، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٣٧/٨): "إسناده صحيح".

وحديث أبي سعيد (رضي الله عنه): "المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا"(١).

ومهما تعددت الروايات، ومهما قيل في معانيها، والفروق بينها؛ فإن مجموعها يدل على أن المؤمنين ثلاثة أقسام(٢):

القسم الأول: ناج مُسَلَّم يمر على الصراط فينجو من النار، ويسلم من الكلاليب فلا تمسه، وهؤلاء منهم مَنْ يمر على الصراط كالطرف، أو البرق، أو الريح، أو أجاويد الخيل، أو الركاب.

القسم الثاني: مخدوش مكردس ساقط في جهنم، ومجموع روايات الأحاديث تدل - والله أعلم - أن هؤلاء يساقون على الصراط سوقا شديدا، ويدفعون دفعا، وتجمع أيديهم إلى أرجلهم، والكلاليب تخدشهم، وتقطعهم، ويكردسون جماعات بعضها فوق بعض على الصراط، ثم يؤول بهم الحال إلى السقوط في جهنم، نعوذ بالله منها.

---

(١) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾، ص (١٢٨٠)، رقم: (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٤ - ٩٥)، رقم: (٤٥٤).

(٢) ينظر في ألفاظ الروايات، ومعانيها: المفهم للقرطبي (٤٢٠/١ وَ ٤٤٠ وَ ٤٤٨)، وإكمال المعلم (٥٥١/١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٣/٣)، وفتح الباري لابن حجر (٤٦٢/١١)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠٢/٧ - ٢٠٣)، وجامع الأصول لابن الأثير (٤١٧/١٠)، ومطالع الأنوار لابن قرقول (٣٤٤/٣ - ٣٤٥)، والإفصاح لابن هبيرة (١٤١/٦).

وهل كل هذه الأحوال لكل من يسقط، أو كل بحسب عمله؟ الأمر محتمل – والله أعلم –، ولعل الأول أظهر؛ لحديث أبي بكرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: "يحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار"[1].

يقول ابن الأثير: (قوله: "فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار": أي: تسقطهم فيها، بعضهم فوق بعض، وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض، وأصل القدع: الكف، والمنع)[2].

ويقول الجوهري: (التقادع: التتايع والتهافت في الشئ، كأن كل واحد يدفع صاحبه أن يسبقه... وفي الحديث: "يحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار"، وتقادع القوم، إذا: مات بعضهم في إثر بعض)[3].

ويقول الزمخشري: (قوله: "يحمل الناس على الصراط يوم القيامة، فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار"، قدع: هو أن يسقط بعضها في أثر

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (٨٣٧)، والطبراني في الصغير (١٤٢/٢)، وقال: "لا يروى عن أبي بكرة إلا بهذا الإسناد"، وأحمد في المسند (٩٠/٣٤)، رقم: (٢٠٤٤٠)، وقال محققوه: " إسناده حسن"، والبزار كما في البحر الزخار (١٣٩/٩)، وقال: "هذا الحديث لا نعلم أحدا يرويه عن رسول الله (ﷺ) غير أبي بكرة بهذا اللفظ، وإسناد هذا الحديث كلهم بصريون"، وقال الهيثمي في المجمع (٣٥٩/١٠): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، ورواه الطبراني في الصغير، والكبير بنحوه، ورواه البزار أيضا، ورجاله رجال الصحيح"، وصحح إسناده السيوطي في البدور السافرة ص (٣٤٢)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٨٣٧): "إسناده حسن، أو محتمل للتحسين".

(٢) النهاية في غريب الحديث ص (٧٢٣).

(٣) الصحاح ص (٨٤٢).

بعض، ومنه: تقادع القوم؛ إذا ماتوا كذلك، والتقادع في الأصل: التكاف، من: قدع الفرس، وهو: كفه باللجام، وإنما استعمل مكان التتابع لأن المتقدم كأنه يكف ما يتلوه أن يتجاوزه)[١].

القسم الثالث: مخدوش مرسل: تخدشه الكلاليب على الصراط لكنها لا تسقطه في النار، بل ترسله فينجو من النار، وهؤلاء – والله أعلم – قد ينالهم نصيبهم من السوق، والدفع، والوثاق، مثل أصحاب القسم الثاني لكن ينجون من السقوط في جهنم، وقد لا يصيبهم إلا خدش الكلاليب، فقد سبق في أحوال مرور المؤمنين على الصراط، من أن بعضهم يمشي على الصراط، فينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، حتى يمر آخرهم يسحب سحبا.

يقول القاضي عياض في حديث أبي سعيد (ﷺ): (في هذه الجملة: تفصيل صور الناجين فى السرعة والسلامة، ثم من يصيبه الخُدسُ، وتسفعه النار، ثم الموبق فيها، والمكردس الملقى فى قعرها، نعوذ بالله منها)[٢].

ويقول النووي: (قوله (ﷺ): "فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم"، معناه: أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم، فلا يناله شيء أصلا، وقسم يخدش، ثم يرسل، فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم)[٣].

والعلم عند الله أن تحت كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة من أحوال المؤمنين المارين على الصراط ما لا يعلمه الله (ﷻ)، يقول ابن أبي جمرة في حديث أبي هريرة (ﷺ): (يؤخذ منه: أن المارين على الصراط ثلاثة أصناف: ناج بلا

(١) الفائق في غريب الحديث (١٦٥/٣).

(٢) إكمال المعلم (٥٥٣/١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٨/٣).

خدوش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما: يصاب ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقساما تعرف بقوله: "بقدر أعمالهم")[١].

سادساً: ورد في بعض الذنوب دليل خاص أنه قد يحبس المؤمن ويوقفه على الصراط، كما في حديث معاذ بن أنس الجهني (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "من حمى مؤمنا من منافق – أراه قال –: بعث الله ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مسلما بشيء يريد شينه حبسه الله (ﷻ) على جسر جهنم، حتى يخرج مما قال"[٢].

يقول الملا علي قاري: ("حبسه الله": أو وقفه، "حتى يخرج مما قال": أي: من عهدته، والمعنى: حتى ينقى من ذنبه ذلك، بإرضاء خصمه، أو بشفاعة، أو بتعذيبه بقدر ذنبه)[٣].

سابعاً: من شدة هول الصراط لا يتكلم يومئذ إلا المرسلون، ودعاؤهم: اللهم! سلِّم، سلِّم[٤].

---

(١) نقله عنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٤٦٣/١١).

(٢) رواه أبو داود، كتاب الأدب، باب الرجل يذب عن عرض أخيه، ص (٦٨٨ – ٦٨٩)، رقم: (٤٨٨٣)، واللفظ له، وأحمد في المسند (٤٠٦/٢٤)، رقم: (١٥٦٨٧)، والطبراني في الكبير (٤٣٣)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٨٣).

(٣) مرقاة المفاتيح (٧٢١/٨)، وانظر: عون المعبود (٢٤٢/٨).

(٤) **فائدة:** يقول ابن رجب في التخويف من النار ص (٢٣٤): (وخرج الترمذي بإسناد فيه ضعيف، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي (ﷺ)، قال: "شعار المؤمنين على الصراط: رب! سلم، سلم"، ويروى نحوه من حديث أنس مرفوعا بإسناد لا يصح.

وروى منصور بن عمار، عن ابن لهيعة، عن أبي قبيل، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي (ﷺ)، قال: "شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت"، وهذا فيه نكارة، والله أعلم) ا.هـ. =

يدل له حديث أبي هريرة (ﷺ) مرفوعا: "ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلم، سلم"[1].

وفي رواية: "فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم! سلم، سلم"[2].

وفي رواية: "ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم! سلم، سلم"[3].

وفي رواية: "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم! سلم، سلم"[4].

=وحديث المغيرة (ﷺ) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط، ص (٥٥٤)، رقم: (٢٤٣٢)، وقال: " غريب من حديث المغيرة بن شعبة، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق، وفي الباب عن أبي هريرة "، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٤٢٩)، وفي السلسلة الضعيفة (١٩٧٣).

ويقول الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٦١/١١) بعد أن ذكر بعضا من روايات حديث أبي هريرة (ﷺ): (ووقع في رواية العلاء: " وقولهم: اللهم! سلم، سلم"، وللترمذي من حديث المغيرة: "شعار المؤمنين على الصراط: رب! سلم، سلم"، والضمير في الأول للرسل، ولا يلزم من كون هذا الكلام شعار المؤمنين أن ينطقوا به، بل تنطق به الرسل، يدعون للمؤمنين بالسلامة، فسمى ذلك شعارا لهم، فبهذا تجتمع الأخبار، ويؤيده قوله في رواية سهيل: " فعند ذلك حلت الشفاعة، اللهم! سلم، سلم").

(١) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢).

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ص (١١٣٧)، رقم: (٦٥٧٣).

(٣) البخاري، كتاب الأذان، باب فضل السجود، ص (١٣٠)، رقم: (٨٠٦).

(٤) البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]، ص (١٢٧٩)، رقم: (٧٤٣٧).

يقول القاضي عياض: (قوله: "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل": يعنى فى حين الإجازة، وإلا ففى يوم القيامة تجادل كل نفس عن نفسها)[١].

وعدم الكلام سببه شدة الأهوال على الصراط، يقول ابن هبيرة: (قوله: "دعوى الرسل: اللهم! سلم، سلم"؛ فإن الحال يومئذ لا يقتضي سؤال منزلة، ولا طلب كرامة، بل يكون إيثار الكل السلامة والخلاص من هول ذلك اليوم)[٢].

ويقول النووي: (قوله (ﷺ): "ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل"، معناه: لشدة الأهوال، والمراد: لا يتكلم في حال الإجازة، وإلا ففي يوم القيامة مواطن يتكلم الناس فيها، وتجادل كل نفس عن نفسها، ويسأل بعضهم بعضا، ويتلاومون، ويخاصم التابعون المتبوعين، والله أعلم)[٣].

ثامناً: تقف الأمانة والرحم على حافتي الصراط حقيقة؛ على الصفة والكيفية التي يريدها الله (ﷻ)، تشهدان لمن قام بحقوقهما، وتطالبان بجوازه الصراط، فتخلصانه من النار، وتكونان حجة على من ضيعهما، وتكونان سببا في عدم جوازه الصراط، وسقوطه في النار.

لحديث أبي هريرة (ﷺ)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "وترسل الأمانة والرحم، فتقومان جنبتي الصراط يمينا وشمالا"[٤].

---

(١) إكمال المعلم (٥٥١/١)، وانظر: المفهم للقرطبي (٤٢٠/١)، وشرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٣)، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٠١/٧).

(٢) الإفصاح عن معاني الصحاح (١٤١/٦).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٢٢/٣).

(٤) مسلم، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، ص (١٠٥)، رقم: (٤٨٢)، والحديث رواه البخاري في مواضع من صحيحه، منها: كتاب أحاديث الأنبياء، بـــاب ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾، ص (٥٥٥)، رقم: (٣٣٤٠)، وليست فيه اللفظة أعلاه.

يقول النووي: (قوله (ﷺ): "وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط":... أما إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما، وكبر موقعهما، فتصوران مشخصتين على الصفة التي يريدها الله – تعالى –، قال صاحب التحرير: في الكلام اختصار، والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما)[1].

ويقول ابن الجوزي: (قوله: "وترسل الأمانة، والرحم" المعنى: أنهما تخلصان القائمين بحقوقهما)[2]، فـــ (من أدى الأمانة ووصل الرحم نجا، ومن لم يفعل لم يسلم)[3].

ويقول ابن حجر: (أي: يقفا في ناحية الصراط، والمعنى: أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما، وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما؛ يوقفان هناك للأمين، والخائن، والمواصل، والقاطع، فيحاجان عن المحق، ويشهدان على المبطل)[4].

ويقول ابن القيم: (وترسل الأمانة والرحم على جنبتي الصراط، فلا يجوزه خائن، ولا قاطع رحم)[5].

وأَوَّلَ بعضهم قيام الأمانة والرحم بإرسال ملك على الصراط، يحاج لهما، وعنهما، وأول الأمانة بالأمانة العظمى التي تشمل القيام بجميع شرائع الدين، وأول الرحم بالصلة الكبرى؛ التي تشمل الإحسان للخلق، فتشملان القيام بأمر

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٧/٣).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣٩٨/١).

(٣) كشف المشكل من حديث الصحيحين ص (٤٦٨/٣).

(٤) فتح الباري (٤٦١/١١).

(٥) تحفة المودود بأحكام المولود ص (٣٠٩).

الله (ﷻ)، والشفقة على خلقه، يقول الطيبي: (قوله: "جنبتي الصراط": يريد بجنبتي الصراط: ناحيتيه اليمنى واليسرى، يقال: جنبه، وجنبته بالتحريك، وجنابته، وجنابتيه، والمعنى: أن الأمانة والرحم لعظم شأنهما وفخامة ما يلزم العباد من رعاية حقهما يمثلان هناك للأمين والخائن، والواصل والقاطع، فيحاجان عن المحق الذي رعاهما، ويشهدان على المبطل أقول: الذي أضاعهما ليتميز كل منهما، وقيل: يرسل من الملائكة من يحاج لهما، وعنهما، وفي الحديث: حث على رعاية حقهما، والاهتمام بأمرهما.

أقول: ويمكن أن تحمل الأمانة على الأمانة العظمى، وهي ما في قوله تعالى: ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ** ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وصلة الرحم على صلتهما الكبرى، وهي ما في قوله تعالى: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ** ﴾ إلى قوله: ﴿ **وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ** ﴾ [النساء: ١]، فيدخل في الحديث معنى التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، وكأنهما اكتنفا جنبي الإسلام الذي هو الصراط المستقيم، وقطري الإيمان والدين القويم)(١).

وهذا – والله أعلم – تأويل ضعيف، إذ هو خلاف ظاهر الحديث، ومصادرة للتخصيص من التنصيص على الأمانة، والرحم.

تاسعاً: أول من يجوز الصراط من الأنبياء والرسل نبينا محمد (ﷺ)، وأمته أول من تجوزه من الأمم، وأول من يجوزه من أمته فقراء المهاجرين.

---

(١) شرح المشكاة للطيبي (٢١٤/١٠)، ونقله عنه ابن حجر في الفتح في النقل السابق عنه.

أما كون نبينا (ﷺ) أول من يجيز فلحديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "فأكون أول من يجيز"[(١)].

أما كون هذه الأمة أول من تجوزه من الأمم فلرواية لحديث أبي هريرة (رضي الله عنه)، وفيه أن النبي (ﷺ) قال وفي رواية: "ويضرب الصـــراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز"[(٢)].

يقول النووي: (" فأكون أنا وأمتي من يجيز ": معنـــاه: يكـــون أول مـــن يمضي عليه، ويقطعه)[(٣)].

ويقول القرطبي: (قوله: "فأكون أنا وأمتي أول من يجيز"، بضم أوله رباعيا من: أجاز؛ أي: يمضي عليه، ويقطعه، يقال: أجزت الوادي، وجزته، لغتان فصيحتان، وحكي عن الأصمعي أنه قال: أجزته: قطعته، وجزته: مشيت فيه، ويحتمل أن يقال: إن الهمزة في: أجاز هنا للتعدية، من قولهم: أجيزي صوفة؛ أي: أجزنا، وذلك أن صوفة كان رجلا معظما في قريش يقتدى به في مناسك الحج، فلا يجوز أحد في شيء من مواقفه حتى يجوز، فكان الناس يستعجلونه فيقولون لك أجز صوفة؛ أي: ابتدئ بالجواز حتى نجوز بعدك، فكان يمنعهم بوقوفه، ويجيزهم بجوازه، ثم بقي ذلك في ولده، فقيل للقبيلة: أجيزي صوفة، فكذلك الرسول (ﷺ) وأمته على الصراط، فلا يجوز أحد حتى يجوز هو وأمته، فكأنه يجيز الناس)[(٤)].

---

(١) البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، ص (١١٣٧)، رقم: (٦٥٧٣).

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ص (٩٢ – ٩٣)، رقم: (٤٥١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/٢٤).

(٤) المفهم (١/٤١٩ – ٤٢٠)، وانظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٧/٢٠١).

أما كون أول من يجوزه من أمته فقراء المهاجرين فلحديث ثوبـــان (ﷺ)، وفيه قول اليهودي: فمن أول النـــاس إجـــازة؟، فقـــال النبـــي (ﷺ): "فقــراء المهاجرين"[١].

يقول النووي: (قوله (ﷺ): "فمن أول الناس إجازة"، هو بكسر الهمزة وبالزاي، ومعناه: جوازا، وعبورا)[٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل، والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائيهما، ص (١٤١)، رقم: (٧١٦).

(٢) شرح صحيح مسلم (٣/٢١٧).

المبحث الثامن
الأعمال الموجبة لجواز الصراط

مر معنا أن العبور وسرعة العبور على الصراط إنما يكون على حسب أعمال الناس، فلا يعبره إلا من كانت له أعمال صالحة، وسرعته على الصراط بقدر أعماله الصالحة.

فكل الأعمال الصالحة على وجه العموم سبب في جواز الصراط، فلا يعبر الصراط إلا من كانت له أعمال صالحة، وكلما أكثر المرء من الأعمال الصالحة كلما كان مروره على الصراط أسرع.

وفي المقابل كل الأعمال السيئة سبب في عدم العبور على الصراط، والسقوط في النار، أو أنها سبب في بطء سير المؤمن على الصراط، فتركها سبب في الجواز على الصراط، أو في سرعة المرور على الصراط.

فالأعمال الموجبة لجواز الصراط انتظمها **أمران: فعل الطاعة، وترك المعصية.**

إذا علم هذا: فكل عمل صالح موجب للمرور على الصراط، وسرعته، وكل عمل سيء مما يمنع المرور على الصراط، أو يمنع سرعة المرور عليه.

يقول ابن القيم: (من هدي في هذه الدار إلى صراط الله المستقيم؛ الذي أرسل به رسله، وأنزل به كتبه؛ هدى هناك إلى الصراط المستقيم؛ الموصل إلى جنته ودار ثوابه، وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط الذي نصبه الله لعباده في هذه الدار يكون ثبوت قدمه على الصراط المنصوب على متن جهنم، وعلى قدر سيره على هذه الصراط يكون سيره على ذاك الصراط، فمنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الركاب، ومنهم من يسعى سعيا، ومنهم من يمشي

مشيا، ومنهم من يحبو حبوا، ومنهم المخدوش المسلم، ومنهم المكـدوس في النار، فلينظر العبد سيره على ذلك الصـراط من سيره على هذا، حذو القـذة بالقذة، جزاء وفاقا ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠])(١).

وإذا علم هذا أيضا: فإن حصر الأعمال الموجبة للمرور علـى الـصراط يصعب حصرها، لكن يمكن جعلها تحت الأقسام الآتية(٢):

القسم الأول: الأعمال التي فيها أن من عملها دخل الجنة، أو هو في خرفة الجنة، أو سهل الله (ﷻ) له بها طريقا إلى الجنة، أو فتحت له أبواب الجنة، أو أنها من صفات أهل الجنة...

ووجه الاستدلال بهذا القسم من الأعمال: أن من دخل الجنة فقد نجا مـن النار، ومن نجا من النار فيهم من نجا منها، ولم يدخلها، ولا يحـصل هـذا إلا بالعبور على الصراط، فهذا القسم متضمن أن في هؤلاء من يجوز الـصراط، ولا يسقط في النار.

والنصوص تحت هذا القسم كثيرة جدا، أكتفي فيها بحديث أبي ذر (رضي الله عنه) قال: قلت: يا رسول الله! ماذا ينجي العبد من النار؟، قال: "الإيمان بالله"، قلت: يا نبي الله! إن مع الإيمان عمل؟، قال: "يرضح مما رزقه الله"، قلت: يا رسول الله! أرأيت إن كان فقيرا لا يجد ما يرضح به؟، قال: "يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر"، قلت: يا رسول الله! أرأيت إن كان عييا لا يستطيع أن يأمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر؟، قال: "يصنع لأخرق"، قلت: أرأيت إن كان أخرق، لا يستطيع أن يصنع شيئا؟، قال: "يعين مغلوبا"، قلت: أرأيت إن كان

---

(١) مدارج السالكين (٣٣/١).

(٢) هذا ما ظهر لي من أقسام، وقد يظهر غيرها حسب التتبع، والله أعلم.

ضعيفا لا يستطيع أن يعين مظلوما؟، فقال: "ما تريد أن تترك في صاحبك من خير؟! تمسك الأذى عن الناس"، فقلت: يا رسول الله! إذا فعل ذلك دخل الجنة؟، قال: "ما من مسلم يفعل خصلة من هؤلاء إلا أخذت بيده حتى تدخله الجنة"[(١)].

وحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "ومن سلك طريقا، يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"[(٢)].

يقول ابن رجب: (قد يدخل في ذلك أيضا: تسهيل طريق الجنة الحسي إلى يوم القيامة، وهو: الصراط، وما قبله وما بعده من الأهوال)[(٣)].

القسم الثاني: الأعمال التي فيها أن عملها لم يدخل النار، أو لم يلج النار، أو لم تمسه النار، أو زحزح عن النار، أو حرم على النار، أو لم تطعمه النار، أو أعتقه من النار، أو كانت له حجابا من النار:

وهذه الأعمال كثيرة يصعب تعدادها، وليس هذا موضع حصرها، ولكني أشير لكل لفظ بحديث يدل على إخوانه، وأمثاله، فمن هذا:

حديث عمارة بن رويبة عن أبيه (رضي الله عنه) **قال:** سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها"، يعني: الفجر، والعصر، فقال له رجل من أهل البصرة: آنت سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)؟، قال: نعم، قال الرجل: وأنا أشهد أني سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، سمعته أذناي،

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣٧١/٦)، والبيهقي في الشعب (٣٤/٥)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٦٩).

(٢) أحمد في المسند (٣٩٣/١٢)، رقم: (٧٤٢٧)، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١٥).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢٩٧/٢).

ووعاه قلبي"[١]، وفي رواية: "لا يلج النار من صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها"[٢].

وحديث عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال: "إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلل الله، وسبح الله، واستغفر الله، وعزل حجرا عن طريق الناس، أو شوكة أو عظما عن طريق الناس، وأمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد تلك الستين والثلاثمائة السلامى، فإنه يمشي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار"، قال أبو توبة: وربما قال: "يمسي"[٣].

وحديث عتبان بن مالك (رضي الله عنه)، وفيه أن رسول الله (ﷺ) قال: "فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله"[٤].

وفي رواية: "لا يشهد أحد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار، او تطعمه"[٥].

---

(١) مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، ص (٢٥٥)، رقم: (١٤٣٦).

(٢) مسلم، كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما، ص (٢٥٥ – ٢٥٦)، رقم: (١٤٣٧).

(٣) مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ص (٤٠٧)، رقم: (٢٣٣٠).

(٤) البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ص (٧٤)، رقم: (٤٢٥)، ومسلم، كتاب المساجد، باب الرخصة عن التخلف عن الجماعة لعذر، ص (٢٦٥)، رقم: (١٤٩٦).

(٥) مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، ص (٣٨)، رقم: (١٤٩).

وحديث أبي سعيد الخدري (ﷺ): قالت النساء للنبي (ﷺ): غلبنا عليك الرجال، فاجعل لنا يوما من نفسك، فوعدهن يوما لقيهن فيه، فوعظهن، وأمرهن، فكان فيما قال لهن: "ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها، إلا كان لها حجابا من النار"، فقالت امرأة: واثنتين؟، فقال: "واثنتين"[١].

وحديث أبي الدرداء (ﷺ) **أن النبي** (ﷺ) **قال:** "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"[٢]، وفي رواية: "من رد عن عرض أخيه المسلم كان حقا على الله (ﷻ) أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة"[٣].

ويدخل تحت هذه: الأعمال التي فيها أمر النبي (ﷺ) بعملها اتقاء النار، كما في حديث عدي بن حاتم (ﷺ)، وفيه: أن رسول الله (ﷺ): "من استطاع منكم أن يقي وجهه النار ولو بشق تمرة فليفعل"[٤].

القسم الثالث: ما يصيب المؤمن، وورد أنها حظ المؤمن من النار، كما في حديث أبي أمامة (ﷺ) أن النبي (ﷺ) قال: "الحمى من كير من جهنم فما أصاب المؤمن منها كان حظه من النار"[٥].

---

(١) البخاري، كتاب العلم، باب هل يجعل للنساء يوما على حدة في العلم ؟، ص (٢٣)، رقم: (١٠١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه، ص (١١٤٧)، رقم: (٦٦٩٩).

(٢) أحمد في المسند (٥٢٨/٤٥)، رقم: (٢٧٥٤٣)، وقال محققوه: "حسن لغيره"، والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عرض المسلم، ص (٤٥٠)، رقم: (١٩٣١)، وقال: "حسن"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٢) .

(٣) أحمد في المسند (٥٢٣/٤٥ – ٥٢٤)، رقم: (٢٧٥٣٦)، وقال محققوه: "حسن لغيره".

(٤) أحمد في المسند (١١٦/٣٢)، رقم: (١٩٣٧٣)، واللفظ له، وقال محققوه: "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وابن حبان في صحيحه (٣٧٣/١٦)، رقم: (٧٣٧٣).

(٥) أحمد في المسند (٤٩٥/٣٦)، رقم: (٢٢١٦٥)، وقال محققوه: " حسن لغيره "، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٨٢٢).

يقول المناوي: ("الحمى حظ المؤمن من النار يوم القيامة": أي: يسهل عليه الورود، فينجو منها سريعا، أي: أنها تسهل عليه الورود حتى لا يشعر به أصلا)[١].

القسم الرابع: الأعمال التي فيها أن من عملها ثبت يوم القيامة على الصراط كما في حديث عبدالله بن عمر ب، وفيه أن النبي (ﷺ) قال: "ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام"[٢].

وأكثر موضع تزل فيه الأقدام يوم القيامة الصراط، ومن ثبت عليه فلم تزل قدمه عبره، والله أعلم.

القسم الخامس: الأعمال التي فيها الوعيد بالنار لمن وقع فيها، أو أنها من أعمال أهل النار، أو من صفات أهل النار... وهي كثيرة جدا.

ووجه الاستدلال بمثل هذه الأحاديث: أن من ترك هذه الأعمال فهو من أهل الجنة، وأهل الجنة فيهم من يعبر الصراط، ولم يسقط في النار.

القسم السادس: الأعمال التي فيها أنها نور يوم القيامة، ومن أعظم المواطن التي يعطى فيها المؤمن نورا يوم القيامة على الصراط، وهذا كما في حديث أبي بردة الأسلمي (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: "بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة"[٣].

---

(١) فيض القدير (٤٢١/٣).

(٢) الطبراني في الكبير (٥٧٥/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٩٢/٤١)، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٠٦).

(٣) الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، ص (٦٢)، رقم: (٢٢٣)، وقال: "غريب من هذا الوجه مرفوع، هو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي (ﷺ)، ولم يُسْنَد إلى النبي (ﷺ)"، واللفظ له، وابن ماجة (٧٨١)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلم، ص (٩٣)، رقم: (٥٦١)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٣).

وحديث أبي مالك الأشعري (رضي الله عنه)، وفيه: أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "والصلاة نور"[1].

يقول القرطبي: (قوله: "والصلاة نور"، معناه: أن الصلاة إذا فعلت بشروطها المصححة والمكملة نورت القلب؛ بحيث تشرق فيه أنوار المكاشفات والمعارف، حتى ينتهي أمر من يراعيها حق رعايتها أن يقول: "وجعلت قرة عيني في الصلاة"[2].

وأيضا: فإنها تنور بين يدي مراعيها يوم القيامة في تلك الظلم.

وأيضا: تنور وجه المصلي يوم القيامة، فيكون ذا غرة وتحجيل، كما قد ورد في حديث عبدالله بن بسر مرفوعا: "أمتي يوم القيامة غر من السجود، محجلون من الوضوء"[3])[4].

ويقول ابن رجب ضمن شرحه لهذا الحديث: (هي للمؤمنين في الدنيا نور في قلوبهم، وبصائرهم، تشرق بها قلوبهم، وتستنير بصائرهم، ولهذا كانت قرة عين المتقين... وهي في الآخرة نور للمؤمنين في ظلمات القيامة، وعلى الصراط، فإن الأنوار تقسم لهم على حسب أعمالهم)[5].

---

(١) مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ص (١١٤)، رقم: (٥٣٤).

(٢) الحاكم في المستدرك (١٧٤/٢)، وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي، وأحمد في المسند (٤٣٣/٢١)، رقم: (١٤٠٣٧)، وقال محققوه: "إسناده حسن".

(٣) رواه أحمد في المسند (٢٣٧/٢)، رقم: (١٧٦٩٣)، وقال محققوه: "إسناده صحيح، على شرط مسلم"، واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٦١/٤)، والترمذي، كتاب الجمعة، باب ما ذكر من سيما هذه الأمة من آثار السجود والطهور يوم القيامة، ص (١٥٦)، رقم: (٦٠٧)، وقال: "حسن، صحيح، غريب؛ من هذا الوجه، من حديث عبد الله بن بسر"، وقال الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٠٨/٩): "الحديث على شرط مسلم، والله أعلم"، ووافقه الألباني في السلسة الصحيحة (٢٨٣٦).

(٤) المفهم (٤٧٦/١).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢٣/٢).

ويقول المناوي: ("والصلاة نور المؤمن": أي: ثوابها يكون نور للمصلي في ظلمة القبر، أو على الصراط)[١].

القسم السابع: الأعمال المؤدية لشفاعة النبي (ﷺ):

مواطن شفاعة النبي (ﷺ) كثيرة، ومنها: شفاعته (ﷺ) لمن يمر على الصراط، فالأعمال المؤدية لشفاعة النبي ﷺ من الأعمال الموجبة للمرور على الصراط، يدل لذا حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: سألت النبي (ﷺ) أن يشفع لي يوم القيامة، فقال: "أنا فاعل"، قال: قلت: يا رسول الله ! فأين أطلبك؟ قال: "اطلبنى أول ما تطلبني على الصراط"، قال: قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟، قال: "فاطلبنى عند الميزان"، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟، قال: "فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطىء هذه الثلاث المواطن"[٢].

القسم الثامن: الأعمال التي فيها من لم يفعلها فإنه يخطئ طريق الجنة، كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: "من ذكرت عنده، فنسي الصلاة علي؛ خطئ به طريق الجنة"[٣].

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير (٥٠٦/١).

(٢) رواه أحمد في المسند (٢١٠/٢٠)، رقم (١٢٨٢٥)، وقال محققوه: "رجاله رجال الصحيح، ومتنه غريب"، والترمذي، كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصراط، ص (٥٥٤)، رقم: (٢٤٣٣)، وقال: "حسن، غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وقال الذهبي في إثبات الشفاعة ص (٢٧): "إسناده جيد"، وأورده الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٣٠).

(٣) الطبراني في الدعوات (١٧٤)، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٣٣٧)، وانظر: فضل الصلاة على النبي (ﷺ) للجهضمي بتحقيق الألباني الآثار (٤١ – ٤٤).

الخاتمة

• **أن الصراط، بمعنى: الطريق، وفيه أربع لغات:** الصراط، والسراط، والزراط، وأنكرها بعضهم بالزاي المخلصة، وقال: إنما هي بين الزاي، والصاد، وأثبتها بعضهم لغة رابعة، وبكل قرئ القرآن، ويرى ابن القيم أن الصراط ما جمع خمسة أوصاف: أن يكون طريقا مستقيما، سهلا، مسلوكا، واسعا، موصلا إلى المقصود، والصراط اصطلاحا: جسر منصوب على متن جهنم، يرده الأولون، والآخرون، يمر عليه من شاء الله (ﷻ) من خلقه إلى الجنة، والصراط مما ثبتت أدلته في الكتاب، والسنة، وأجمع على إثباته سلف الأمة، والورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١ – ٧٢]، هو ورود دخول، وهو قول من قال: إنه ورود مرور.

• أن ظاهر الأحاديث – والله أعلم – تدل على أن نصب الصراط لا يكون إلا بعد وصول الناس إلى جهنم، ورؤيتهم لها، وذهب بعضهم إلى جواز أن يكون الصراط مخلوقا مع خلق النار، وأن معنى وضع الصراط يومئذ هو: الإذن بالمرور عليه.

• أن مجموع الأحاديث تدل أن الصراط يضرب على متن وظهراني جهنم، ويمد عليها، فيكون مستويا على وسطها، وفي أعلاها.

• أن الذي يظهر من الأحاديث النبوية أن المرور على الصراط يكون قبل دخول الجنة وبعد كثير من أحداث يوم القيامة من: الحشر، والحوض، والعرض، والحساب، والميزان.

• أنه قد جاءت الأحاديث النبوية بعدة صفات للصراط المنصوب على ظهر جهنم، منها: **أولا:** أن الصراط جسر حقيقي منصوب على ظهر جهنم يصل بين طرفيها، **ثانيا:** أن الصراط المنصوب على ظهر جهنم أدق من الشعر، وأحد من السيف، **ثالثا:** أن الصراط المنصوب على ظهر جهنم دحض مزلة، **رابعا:** أن للصراط المنصوب على ظهر جهنم حافتين، وجنبتين، **خامسا:** أن لحافتي الصراط المنصوب على ظهر جهنم كلاليب، وحسك، وخطاطيف، تخطف الناس من على الصراط بأعمالهم، **سادسا:** بعض أهل العلم يلحظ في الصراط معنى الاستواء، والاعتدال، فيكون الصراط: طريقا مستويا، معتدلا، منصوبا على جهنم.

• أن ملخص ما يحصل قبل وعند المرور على الصراط: أن الله (ﷻ) يحشر الناس كلهم في مكان مظلم دون الجسر، وتستمر معهم الظلمة حتى البدء في العبور على الصراط، بعد هذا يميز الله (ﷻ) أهل عبادته في الظاهر ولو كان منافقا عن أهل الإشراك، فيؤذن مؤذن يرفع بها صوته ليسمع أهل الموقف كلهم، فيقول: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد من دون الله (ﷻ)، فلا يبقى أحد يعبد شيئا من دون الله (ﷻ) إلا اتبعه حتى يسقط به في النار، بعد تمييز الله (ﷻ) لأهل العبادة ولو في الظاهر عن أهل الشرك يحصل تمييز آخر لأهل الإخلاص عن أهل النفاق، وتمييز الله (ﷻ) أهل الإخلاص عن أهل النفاق في ذلك الموطن يكون بأمرين في موضعين: **الموضع الأول:** يكون قبل المرور على الصراط، ويكون بأمر الله (ﷻ) لمن بقي بالسجود له حين يكشف عن ساقه لهم، فمن كان مخلصا موحدا سجد لله (ﷻ) في ذلك الموطن كما كان يسجد له في الدنيا، ومن كان يسجد نفاقا جعل الله (ﷻ) ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يحصل التمييز الثاني لأهل الإخلاص عن أهل النفاق

بالنور الذي يعطيه الله (ﷻ) لهم، وهو: **الموضع الثاني:** قبل المرور على الصراط يعطي الله (ﷻ) كل أحد من المؤمنين والمنافقين نورا كلا بحسب عمله، ولم أر في الأدلة التصريح بتفاوت نور المنافقين، أما نور المؤمنين فإنه يتفاوت تفاوتا عظيما، والمنافقون لا يجوزون الصراط قطعا، بل يطفأ نورهم، ثم يسقطون في النار، وهل يجوزون شيئا من الصراط؟ الأمر محتمل، والعلم عند الله (ﷻ)، أما المؤمنون فإنهم يمشون على الصراط بحسب أعمالهم الصالحة، أولهم: كلمح البرق، ثم كالريح، ثم كحُضْرِ الفرس، ثم كالراكب في رحله، ثم كشد الرجل في مشيه، ومن المؤمنين من يقصر به عمله فلا يجوز الصراط إلا زحفا، وآخر من يدخل الجنة من المؤمنين رجل يمشي على الصراط، ينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط، رأى أنه لم يعط أحد مثلما أعطي، وآخر من يجوز الصراط من المؤمنين يسحب على الصراط سحبا.

- وقد دل مجموع الأدلة أن المؤمنين في المرور على الصراط ثلاثة أقسام: ناج مُسَلَّم يمر على الصراط فينجو من النار، ويسلم من الكلاليب فلا تمسه، ومخدوش مرسل، تخدشه الكلاليب على الصراط لكنه لا تسقطه في النار، بل ترسله فينجو من النار، ومخدوش مكردس ساقط في جهنم، والعلم عند الله أن تحت كل قسم من هذه الأقسام الثلاثة من أحوال المؤمنين المارين على الصراط ما لا يعلمه الله (ﷻ).

– من شدة هول الصراط لا يتكلم يومئذ إلا المرسلون، ودعاؤهم: اللهم! سَلِّم، سَلِّم، وتقف الأمانة والرحم على حافتي الصراط حقيقة؛ على الصفة والكيفية التي يريدها الله (ﷻ)، تشهدان لمن قام بحقوقهما، وتطالبان بجوازه الصراط،

فتخلصانه من النار، وتكونان حجة على من ضيعهما، وتكونان سببا في عدم جوازه الصراط، وسقوطه في النار.

• أن أول من يجوز الصراط من الأنبياء والرسل نبينا محمد (ﷺ)، وأمته أول من تجوزه من الأمم، وأول من يجوزه من أمته فقراء المهاجرين.

• أن كل عمل صالح موجب للمرور على الصراط، وسرعته، وكل عمل سيء مما يمنع المرور على الصراط، أو يمنع سرعة المرور عليه، بعضها صريح، وبعضها فيه تلميح، وتفاصيل هذه الأعمال مما يصعب حصره.

المصادر و المراجع

- الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات، نعمان محمود الألوسي، تحقيق محمد ناصر الألباني، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥ هـ، المكتب الإسلامي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، خرج آياته، وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، سوريا، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ.
- البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقريظ، وتقديم: الدكتور: وهبة الزحيلي، حقق، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: معروف مصطفى زريق وَ محمد وهبي سليمان وَ علي عبد الحميد بلطه جي، دار الخاني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
- الأحاديث المختارة (أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما)، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي، دراسة وتحقيق معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- أحكام الجنائز، وبدعها، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض اليحصبي، تحقيق الدكتور يحيى إسماعيل، دار الندوة العالمية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ.
- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ومعه شفاء الغلل في شرح كتاب العلل لأبي عيسى الترمذي، اعتنى بها علي محمد عوض وَ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ.
- التخويف من النار، أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، مكتبة دار البيان و دمشق، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق ودراسة الدكتور الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.
- تفسير البغوي، للحسين بن مسعود، البغوي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- تفسير الطبري، لمحمد بن جرير، الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجماوي، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

- جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى، الترمذي، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- حاشية السندي على مسند الإمام أحمد، محمد بن عبد الهادي السندي، حققه، وضبط نصه، وعلق عليه أبو معاذ طارق عوض الله، دار المأثور للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤٣١ هـ.
- زاد المسير في علم المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، لمحمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤١٥ هـ.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، لمحمد ناصر الدين، الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ.
- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، السجستاني، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- سنن ابن ماجه، لمحمد، بن يزيد، ابن ماجه، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، الحنفي، خرج أحاديثها: محمد ناصر الدين، الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٦ هـ.
- شعب الإيمان، أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق / محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠ هـ.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علي ابن بلبان الفارسي، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٨ هـ.

- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩ هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، القشيري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لمحمود أحمد، العيني، تقديم: محمد أحمد حلاق، دار احياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي، بن حجر، العسقلاني، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه، وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي الدين محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩ هـ.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن رجب الحنبلي، تحقيق أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي، الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨ هـ.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، إعداد: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، ١٤٢٥ هـ.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للملا علي، القاري، قدم له: خليل الميس، قرأه، وخرج حديثه، وعلق عليه، وصنف فهارسه: صدقي محمد جميل العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.

- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله، الحاكم، إعداد: الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأحمد بن عمر، القرطبي، حققه، وعلق عليه، وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ويوسف على بديوي، وأحمد محمد السيد، ومحمود إبراهيم بزال، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦ هـ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، تحقيق وتخريج وترقيم الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٣٠ هـ.

فهرس الموضوعات



